مباحث علوم القرآن عند الثعالبي

م. د. دريد موسى الاعرجي
جامعة بابل/كلية التربية الأساسية

المقدمة:

الحمد لله استحقاقاً ، والصلاة والسلام على نبينا محمد أعلى النبيين مقاماً وعلى آله من كانوا أطهر الخلق إنسانا ، وأصحابه من كانوا للهدى أعلاما .

أما بعد

فهذا البحث يظهر جانباً من جوانب علوم القرآن العظيم ، ويظهر علماً من أعلام العربية ألا وهو الإمام أبو منصور الثعالبي الذي أفاد وأجاد في كتابه المشهور (فقه اللغة وسرُّ العربية) إذ ذكر أبواباً من أبواب علوم القرآن الكريم التي تصدى لها العلماء المختصون في علوم القرآن والتفسير مما يدلُّ على أنّ هذا العالم الكبير كان على دراية واسعة بعلوم القرآن والتفسير ولكنه لم يكن من أهل هذه الصنعة بل كان من أهل اللغة وفقهها وهذا ما يغلب عليه في كتبه كلها، وخاصة هذا الكتاب الذي درسناه ، والذي أردنا من خلال دراسته أن نضيف بصمة جديدة في علوم القرآن الكريم _ إن صح التعبير _ وأن نظهر إمكانيات هذا الإمام الكبير، ومن هنا جاءت أهمية هذا البحث وسبب اختياري له.

وأما منهج الثعالبي في تناوله لموضوعات علوم القرآن ، فإنه لم يلتزم منهجاً معيناً ومسلسلاً كما نراه عند علماء علوم القرآن الكريم والسبب في ذلك بسيط جداً ، وهو أنّ كتاب (فقه اللغة) ليس من كتب علوم القرآن أو التفسير بل هو كتاب لغوي اتّبع فيه منهج أهل اللغة ، فنحن نجده يقدم بعض موضوعات علوم القرآن الفرعية على الموضوعات الرئيسية كتقديمه موضوع إقامة وصف الشيء مقام اسمه على موضوع التوكيد أو التكرار ، وهكذا .

وعند معالجته لهذه الموضوعات وتعليقه عليها نجده أحياناً يقدّم كلام العرب ثم يستشهد له بالشعر ثم بالقرآن الكريم والسنة النبوية ، وأحياناً يقدم الآية والحديث ثم يستشهد له بلغة العرب وشعرهم ، وأحياناً يهمل الحديث النبوي الشريف فلا يستشهد به ، وهكذا .

وأما منهجي في هذا البحث فقد قسمته على ثلاثة مباحث: تضمن الأول مباحث علوم القرآن الرئيسة ، وتضمن الثاني مباحث علوم القرآن الفرعية ، وتضمن الثالث فنون البلاغة في القرآن الكريم ، وتضمن كل مبحث من هذه المباحث مطالب عدّة ومتنوعة .

ولا أدعي أني قد أتيت بالتمام ، ولكن حسبي أني لفت النظر إلى هذا الإمام الكبير على أنه عالم بعلوم القرآن الكريم .

والحمد لله أولاً وأخراً ، وصلى الله على نبينا محمد وآله الأطهار وسلم تسليماً كثيرا .

الباحث

تمهيد

الإمام الثعالبي

أسمه : هو أبو منصور بن عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي النيسابوري[1] .

ولادته : تكاد تجمع المصادر التي تحدثت عن الثعالبي أنّه ولد سنة 350 هـ – 961 م في نيسابور[2].

وفاته : أختلف في سنة وفاته فمن المؤرخين من يقول إنّه توفي سنة 429 هـ ، ومنهم من يقول سنة 430 هـ ، والذي أرجحه أنه توفي سنة 429 هـ ، لأنّ هذا ما أكدت عليه أكثر المصادر التي تحدثت عن وفاة الثعالبي[3] .

شخصيته : قال عنه أصحاب التراجم : إنه كان في وقته راعي تلعات العلم وجامع أشتات النثر والنظم رأس المؤلفين في زمانه وإمام المصنفين بحكم أقرانه سار ذكره سير المثل وضربت إليه آباط الإبل وطلعت دواوينه في المشارق والمغارب طلوع النجم في الغياهب وتواليفه أشهر مواضع وأبهر مطالع وأكثر راوٍ لها وجامع من أن يستوفيها حد أو وصف أو يوفيها حقوقها نظم أو رصف[4]. والأديب الشاعر صاحب التصانيف الأدبية السائرة في الدنيا[5] وكان يلقب بجاحظ زمانه[6].

وتصانيفه كثيرة جداً منها يتيمة الدهر وتتمة اليتيمة وهي أحسن تصانيفه وقد اشتهرت كثيراً جمع فيها أشعاراً من نظم من عاصره من الشعراء سماها يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر ذكر فيها أيضاً تراجم حال الذين أورد من أشعارهم فيها ، وهي أكبر كتبه وأحسنها وهي مجموعة تشابه الحماسة لأبي تمام والأغاني للأصفهاني بما إنها محتويه على منتخبات الأشعار غير إنها تختلف عنهما كونها أحدث وتقتصر على نخب من نظم الشعراء من أهل مصر والمشرق ورتب الأشعار فيها على الجغرافية أي بموجب الأقطار التي سكنها الناظمون وليس فيها من أشعار أهل المغرب والأندلس[7].

ومن كتبه أيضاً مؤنس الوحيد في المحاضرات ، وفقه اللغة وسر العربية الذي نحن بصدده ومؤلفات كثيرة أخرى ومن أراد المزيد فعليه بالمصادر التي ذكرناها وخاصة الوافي بالوفيات ج19/ص131.

---

(1) ينظر البداية والنهاية ج12/ص44 ، ووفيات الأعيان ج3/ص178 ، والوافي بالوفيات ج19/ص130 ، والعبر في خبر من غبر ج3/ص174 ، واكتفاء القنوع ج1/ص272 .

(2) المصادر نفسها .

(3) الذين قالوا انه توفي سنة 429 هم (صديق بن حسن القنوجي في كتابه أبجد العلوم ج3/ص71 ، وابن كثير في البداية والنهاية ، وابن خلكان في وفيات الأعيان ، وادوارد فنديك في اكتفاء القنوع) وقد ذكرنا الجزء والصفحة في الهامش الرقم (1).
ومن قال إنه توفي سنة 430 هـ هو (الذهبي في العبر في خبر من غبر) حيث قال إن الثعالبي عاش ثمانين سنة فإذا احتسبنا انه ولد سنة 350هـ وعاش ثمانين سنة أي انه توفي سنه 430هـ . وأما صلاح الدين الصفدي صاحب الوافي بالوفيات فإنه قد ذكر السنين من دون ترجيح بينهما ولكنه قدم سنه 430هـ على سنه 429هـ مما يشعر إنه يميل إلى التاريخ الأول .

(4) ينظر وفيات الأعيان ج3 /ص178 ، وأبجد العلوم ج3/ص71 .

(5) ينظر العبر في خبر من غبر ج3/ص174 .

(6) ينظر الوافي بالوفيات ج19/ص130 .

(7) ينظر اكتفاء القنوع ج1/ص335 .

قال بعضهم في اليتيمة[1]:

أبيات أشعار اليتيمة أبكار أفكار قديمة
ماتوا وعاشت بعدهم فلذاك سميت اليتيمة

وله كتاب (سحر البلاغة) قال فيه الأديب أبو يعقوب صاحب كتاب البلغة في اللغة[2] :

سحرت الناس في تأليف سحرك فجاء قلادة في جيد دهرك
وكم لك من معان فـي معان شواهد عندنا تعلو بقدرك
وقيت نوائب الدنيا جميعاً فأنت اليوم جاحظ أهل عصرك

وسمي بالثعالبي لأنه كان رقّاءً يبيع ويخيط جلود الثعالب وفراءها[3].
ورثاه الحاكم النيسابوري بقوله[4] :

كان أبو منصور الثعالبي أبرع في الآداب من ثعلب
ليت الردى قدمني قبله لكنه أروغ من ثعلب
يطعن من يشاء من الناس بالموت كطعن الرمح في الثعلب

المبحث الأول

[1] ينظر البداية والنهاية ج12/ص44 .
[2] ينظر الوافي بالوفيات ج19/ص131 .
[3] ينظر البداية والنهاية ج12/ص44 ، وإكتفاء القنوع ج1/ص272 .
[4] ينظر الوافي بالوفيات ج19/ص132 .

مباحث علوم القرآن الرئيسة

المطلب الأول

التفسير

يفسر الثعالبي الكثير من الآيات في القسم الثاني من كتابه تفسيراً مختصراً لأنه لا يريد التفسير لذاته بل يأتي به لتوضيح الصورة التي يريد إيضاحها من خلال العناوين التي يبوب بها المواضيع مثل الحذف والذكر أو الكناية والاستعارة وغير ذلك ، وهو في تفسيره لهذه الآيات لا يخرج في الغالب عما ذكره المفسرون المعتمدون .

وهنا نذكر نماذج من الآيات التي فسرها الثعالبي :

1. قوله تعالى :(كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ)[1] أي : من على الأرض .
2. قوله تعالى :(حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ)[2] يعني الشمس .
3. قوله تعالى :(كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ)[3] يعني الروح [4] . قال : فكنى عن الأرض والشمس والروح من غير أن يجري ذكرها[5] .
4. قال تعالى :(يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا)[6] أي المطر .
5. قال تعالى :(إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعْصِرُ خَمْرًا)[7] أي عنباً .
6. قال تعالى :(فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ)[8] أي يوم عاصف الريح[9] .
7. قال تعالى:(مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُواْ مَسَٰجِدَ اللَّهِ)[10] قال: وإنما أراد : المسجد الحرام[11]
8. قوله :(ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ)[12] قال فنفى عنه الموت ، لأنه ليس بموت صريح ، ونفى الحياة لأنها ليست بحياة طيبة ولا نافعة[13].

---

[1] سورة الرحمن 26 .
[2] سورة ص32 .
[3] سورة القيامة 26 .
[4] ينظر تفسير الطبري ج29/ص194 .
[5] فقه اللغة وسر العربية ص357 .
[6] سورة هود 52 .
[7] سورة يوسف 36 .
[8] سورة إبراهيم 18 .
[9] فقه اللغة ص360 ، وينظر تفسير الواحدي ج1/ص580 .
[10] سورة التوبة 17
[11] فقه اللغة ص364 ، وينظر تفسير تنوير المقباس ج1/ص155 .
[12] سورة الأعلى 13 .
[13] فقه اللغة 374 ، وينظر روح المعاني ج/ص108 .

9. قوله :(وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ)[1] أي ما هم بسكارى من شرب ، ولكن سكارى من فزع وولّه[2].
10. قوله :(لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ)[3] قال : يعني إن الزيتونة شرقية وغربية[4].
11. قوله :(فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ)[5] أي : لا يجدونك كذاباً[6] .
12. قوله :(وَٱمْسَحُوا۟ بِرُءُوسِكُمْ)[7] قال : أي بعضها[8].
13. قوله :(فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا)[9] قال : وهم لم يلتقطوه لذلك[10] .أي لم يلتقطوه ليكون لهم عدواً وحزناً بل ليتخذوه ولداً ينتفعون به .
14. قوله :(وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ)[11] أي : لكل عيابة مغتابة[12].
15. قوله :(إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا)[13] وهذا في ذكر جهنم ، بلا واو لأن أبوابها سبعة ، ولما ذكر الجنة قال :(حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا)[14] فألحق بها الواو ، لأن أبوابها ثمانية و (واو) الثمانية مستعملة في كلام العرب[15].
16. قوله :(وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ)[16] قال : لأن الجذع للمصلوب بمنزلة القبر للمقبور وينشد من(الطويل)

هم صلبوا العبدي في جذع نخلة فما عطشت شيبان إلا بأجذعا[17]

17. قولـــــــه :(مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ﴿٢٠﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢١﴾ يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ)[18] قال : أي كلاهما يجتمعان ، وأحدهما عذب والآخر ملح ، وبينهما برزخ أي حاجز ، وإنما يخرج (اللؤلؤ والمرجان) من الملح لا من العذب[19].

---

[1] سورة الحج 2 .
[2] فقه اللغة 374 ، وينظر تفسير السعدي ج1/ص533 .
[3] سورة النور 35 .
[4] ينظر فقه اللغة ص376 ، وينظر تفسير ابن كثير ج3/ص291 .
[5] سورة الأنعام 33 .
[6] ينظر فقه اللغة 384 ، وينظر تفسير النسفي ج1/ص320 .
[7] سورة المائدة 6 .
[8] فقه اللغة 385 ، وينظر تفسير البيضاوي ج2/ص299 .
[9] سورة القصص 8 .
[10] فقه اللغة 391 ، وينظر تفسير البغوي ج3/ص436 .
[11] سورة الهمزة 1 .
[12] فقه اللغة ص364 ، وينظر تفسير تنوير المقباس ج1/ص155 .
[13] سورة الزمر 71 .
[14] سورة الزمر 73 .
[15] فقه اللغة 395 ، وينظر تفسير السمرقندي ج3/ص188 .
[16] سورة طه 71 .
[17] فقه اللغة ص401 ، وينظر تفسير الطبري ج16/ص188 .
[18] سورة الرحمن 19- 22 .
[19] فقه اللغة 402 ، وينظر تفسير البيضاوي ج5/ص275 .

18. قوله :(وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ)[1] أي : هن مثلهن في التحريم وليس المراد إنّهن والدات ، إذ جاء في آية أخرى :(إِنْ أُمَّهَٰتُهُمْ إِلَّا ٱلَّٰٓـِٔى وَلَدْنَهُمْ)[2] فنفى أن تكون الأم غير الوالدة[3] وهذا من باب تفسير القرآن بالقرآن يسجل في منهج الإمام الثعالبي في التفسير .
19. قوله :(فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥ)[4] قال : ولا إرادة للجدار ، ولكنه من توسع العرب في المجاز والاستعارة[5] .
20. قوله :(إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا)[6] قال : ولعلهم شربوا بتلك الأموال الانبذة ، ولبسوا الحلل ، وركبوا الهماليج ، لأن أكل المال إفناؤه في كل شيء[7] .
21. قوله :(فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ)[8] قال : والشهر لا يغيب عن أحد ، ومجاز الآية : فمن كان منكم شاهد بلدة في الشهر فليصمه ، والتقدير : ومن كان شاهداً في شهر رمضان ، فليصمه[9] .
22. قوله :(وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ)[10] يعني السفينة فوضع صفتها موضع تسميتها[11] .
23. قوله:(وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ)[12]يعني أباه وخالته،وكانت أمه قد ماتت،فجعل الخالة أماً[13]
24. قوله:(مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ)[14]وإنما العصبة أولي القوة تنوء بالمفاتيح[15]
25. قوله :(فَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ)[16] أي مثلنا بهم ، ولا يقال (جعلوا أحاديث) إلا في الشر[17] .
26. قوله :(قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ)[18] قال : و(من) هذه للتبعيض ، والمراد أن يغضوا أبصارهم كلها[19] .
27. قوله :(وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ)[1] قال : وإنما ذكر الجناحين لأن العرب قد تسمي الإسراع طيراناً ، كما قال النبي (ص) :(كلما سمع هيعة طار إليها)*[2] .

---

[1] سورة الأحزاب 6 .
[2] سورة المجادلة 2 .
[3] فقه اللغة 402 ، وينظر فتح االقدير ج4/ص261 .
[4] سورة الكهف 77 .
[5] فقه اللغة ص403 ، وينظر التسهيل لعلوم التنزيل ج2/ص193 .
[6] سورة النساء 10 .
[7] فقه اللغة ص405 , وينظر المحرر الوجيز ج2/ص14.
[8] سورة البقرة 185 .
[9] فقه اللغة ص406 ، وينظر تفسير البيضاوي ج1/ص465 .
[10] سورة القمر 13 .
[11] فقه اللغة ص407 ، وينظر تفسير الصنعاني ج3/ص258 .
[12] سورة يوسف 100 .
[13] ينظر فقه اللغة ص415 ، وينظر الدر المنثور ج4/ص588 .
[14] سورة القصص 76 .
[15] فقه اللغة ص419 ، وينظر تفسير القرطبي ج13/ص312 .
[16] سورة سبأ 19 .
[17] فقه اللغة 423 ، وينظر التفسير الكبير ج25/ص219 .
[18] سورة النور 30 .
[19] فقه اللغة 425 ، وينظر فتح القدير ج4/ص22 .
[1] سورة الأنعام 38 .

28. قوله :(يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ)[3] قال : فذكر الألسنة ، لان الناس يقولون : قال في نفسه ، وقلت في نفسي[4] .

29. قوله :(وَيَقُولُونَ فِيٓ أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُ)[5] قال : فاعلم ان ذلك القول باللسان دون كلام النفس[6] . ونكتفي بهذه النماذج من الآيات التي فسرها الثعالبي رحمه الله والتي تدل على أن له منهجاً واضحاً في التفسير فهو غالباً ما يذكر كلام العرب ثم يستشهد له بالآيات القرآنية ويفسرها ثم يستدل على تفسيره بالشعر الجاهلي أو الإسلامي ، مثال على ذلك قوله : العرب تقول : أكرمني ، وأكرمته ، زيدٌ . وتقديره أكرمني زيد وأكرمته . كما قال تعالى : (ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا)[7] وتقديره : انزل على عبده الكتاب قيماً ، ولم يجعل له عوجاً . وكما قال امرؤ ألقيس من الطويل :

ولو أنّ ما أسعى لأدنى معيشة كفاني ولم أطلب قليلٌ من المال

وتقديره : كفاني قليل من المال ولم أطلبه[8] .

وهذا موجود في كتابه في القسم الثاني بكثرة مثل صفحة (357 ، 358 ، 365 ....) وغيرها ونجده أحياناً يذكر كلام العرب ثم يستشهد له بالقرآن الكريم والحديث النبوي الشريف مثل قوله : (في إضافة الاسم إلى الفعل : وهي من سنن العرب ، تقول : هذا عام يغاث الناس،وهذا يوم يدخل الأمير ، وقي القرآن: (رَبِّ فَأَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ)[9] ، وقال

عز ذكره : (هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ)[10] وفي الخبر عن النبي (ص): (إن المريض ليخرج من مرضه كيوم ولدته أمه)[11] .

وأحياناً يذكر الآية ويفسرها ثم يستدل على ذلك بالشعر ، ثم بكلام العرب . مثل قوله : ((قال تعالى : (وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا)[1] أي أهل مدين . وكما قال حميد بن ثور الهلالي من الطويل :

قصائد تستحلي الرواة نشيدها ويلهو بها من لاعب الحي سامر

يعضُّ عليها الشيخُ إبهامَ كفّهِ وتجري بها أحياؤكم والمقابر

---

[2] رواه ابن الأثير في (النهاية في غريب الحديث والأثر) ج5/ص288 . * ينظر فقه اللغة ص 428 ، وتفسير الطبري 6 / 419 .
[3] سورة الفتح 11 .
[4] فقه اللغة 429 ، وينظر روح المعاني ج26/ص98 .
[5] سورة المجادلة 8 .
[6] فقه اللغة ص 429 ، وينظر تفسير النسفي خ 4 ص 225 .
[7] سورة الكهف 1 .
[8] فقه اللغة ص 355 - 356 .
[9] سورة الحجر 36 .
[10] سورة المرسلات 35 . [11] فقه اللغة ص 357

[1] سورة الأعراف 85 .

أي : أهل المقابر . والعرب تقول : أكلت قدراً طيبة ، أي أكلت ما فيها . وكذلك قول الخاصة : شربت كأساً[2] .

هذه هي أبرز مميزات منهج الإمام الثعالبي في التفسير تبين وتشير إلى ملكته التفسيرية وإمكانيته وقدرته على التفسير لامتلاكه علوم الآلة وإتقانها إلا انه لم يتصد للتفسير لأنه ليس من صنعته ولا من ميوله ، فهو رجل أدب ولغة ونوادر ، وكان بحق جاحظ أهل زمانه.

وإذا قُدِّرَ لباحثٍ أن يكتب عن الثعالبي (مفسراً) فإنه سيصنف تفسيره ضمن التفاسير اللغوية أي التي يغلب عليها سمة التفسير اللغوي مثل تفسير الكشاف للزمخشري أو البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي ، وغيرها

المطلب الثاني

(التقديم والتأخير)

وهذا العنوان قد ذكره وتكلم عنه كل من كتب في علوم القرآن والتفسير من المتقدمين والمتأخرين منهم الزركشي في البرهان ج3 ص233 وقد ذكر خمسة وعشرين سبباً للتقديم والتأخير ، والسيوطي في الإتقان ج3 ص5 ، والدكتور فاضل صالح السامرائي في التعبير القرآني ص48 وفي من أسرار البيان القرآني ص115 ، وغيرهم كثير . وذكرها الثعالبي فقال :

العرب تبتدئ بذكر الشيء ، والمقدم غيره[1] ، كما قال تعالى :(يَٰمَرۡيَمُ ٱقۡنُتِي لِرَبِّكِ وَٱسۡجُدِي وَٱرۡكَعِي مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ)[2] قال الزركشي في هذه الآية :((قيل : يحتمل إنه كان في شريعتهم السجود قبل الركوع، ويحتمل أن يراد بالركوع ركوع الركعة الثانية ، وقيل: المراد بـ (اركعي) اشكري ، وقيل : المراد بـ (اسجدي) صلي وحدك ، وبـ (اركعي) صلي في جماعة ولذلك قال :(مع الراكعين)))[3] .

وقال د. فاضل السامرائي :((تدرج من الكثرة إلى القلة .... فبدأ بالقنوت وهو عموم العبادة ثم السجود وهو أقل وأخص ثم الركوع وهو أقل وأخص))[4] .

وساق الثعالبي مثلاً آخر هو قوله تعالى :(فَمِنكُمۡ كَافِرٞ وَمِنكُم مُّؤۡمِنٞ)[5] . وذكر الزركشي إن تقديم الكافر على المؤمن هو من باب تقديم الكثرة لأن الكفار أكثر من المؤمنين ، بدليل[6] قوله :(وَمَآ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوۡ حَرَصۡتَ بِمُؤۡمِنِينَ)[7] .

---

[2] فقه اللغة ص 358 – 359 .
[1] فقه اللغة ص 355 .
[2] سورة آل عمران 43 .
[3] البرهان في علوم القرآن ج3 ص245 .
[4] التعبير القرآني ص56 .
[5] سورة التغابن 2 .
[6] البرهان ج3 ص260 . والإتقان ج3 ص10 .
[7] سورة يوسف 103 .

وذكر الثعالبي شاهداً آخر هو قوله :(يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ)[8] ، قال الزركشي :((وأما تقديم الإناث في قوله :(يهب لمن يشاء إناثاً) ، فلجبرهن ، إذ هُنَّ موضع الانكسار ، ولهذا جبر الذكور بالتعريف ، للإشارة إلى ما فاتهم من فضيلة التقديم . ويحتمل أن تقديم الإناث ، لأن المقصود بيان أن الخلق كله بمشيئة الله تعالى ، لا على وفق غرض العباد))[9] .

وذكر الثعالبي شاهداً آخر هو قوله تعالى :(وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ)[10] ، وهنا قدم الليل لأنه أسبق من النهار وذلك لأنه قبل خلق الإجرام كانت الظلمة[11] .

قال الثعالبي :((العرب تقول : أكرمني ، وأكرمته ، زيدٌ . تقديره : أكرمني زيدٌ وأكرمته . كما قال تعالى :(قَالَ ءَاتُونِىٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا)[1] تقديره : آتوني قطراً أفرغ عليه . وكما قال جل جلاله :(ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَاۜ)[2] وتقديره : أنزل على عبده الكتاب قيماً ، ولم يجعل له عوجاً[3])) .

وإذا تقدم الفعل على الاسم فانه يمكن أن يأت بصيغة الجمع كما في لغة أكلوني البراغيث ، تقول بعض العرب : جاؤني بنو فلان ، وهكذا ، ومنه قوله تعالى : (وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجْوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ)[4] ، وقال تعالى : (ثُمَّ عَمُواْ وَصَمُّواْ كَثِيرٌ مِّنْهُمْ)[5] وقد تفعل العرب ذلك ، لأنه الأصل[6].

المطلب الثالث

(الحذف والذكر)

يذكر الثعالبي أنّ العرب تُكنّي عما لم يجر ذكره من قبل توسعاً واقتدارا واختصارا ، ثقة بفهم المخاطب ، كما قال تعالى : (كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ)[1] أي من على الأرض ، كقوله : (حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ)[2] يعني الشمس ، وقوله تعالى : (كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِىَ)[3] يعني الروح. فكنى عن الأرض والشمس والروح ، من غير أن أجرى ذكرها[4] . وهذا من باب حذف الفاعل إذا لاقى ساكناً من كلمة أخرى جاز حذفه[5] .

---

[8] سورة الشورى 49 .
[9] البرهان ج3 ص252 .
[10] سورة الأنبياء 33 .
[11] ينظر التعبير القرآني ص52 .

[1] سورة الكهف 96 .
[2] سورة الكهف 1 .
[3] فقه اللغة ص 356 . وينظر لزيادة الفائدة البرهان ج 3 ص 277 وما بعدها فقد ذكر كلاماً مفيداً في هذه الآية ، وينظر الاتقان ج 3 ص 5 .
[4] سورة الأنبياء 3 .
[5] سورة المائدة 71 .
[6] فقه اللغة ص 362 .
[1] سورة الرحمن 26 .
[2] سورة ص 32 .
[3] سورة القيامة 26 .
[4] فقه اللغة ص 357 .
[5] ينظر البرهان ج 3 ، ص 144 .

قال د. فاضل السامرائي : ((يدخل في هذا الموضوع (أي الحذف والذكر) ما حذف واصله أن يذكر كحذف حرف أو اسم أو فعل مما أصله أن يذكر ، كما يدخل فيه ما ذكر في موطن ولم يذكر في موطن آخر يبدوا شبيهاً به لأن الموطن اقتضاه))[6] .

ويجب ان نعلم ان القرآن دقيق في استعمالاته للكلمات والحروف والجمل فإن الذكر والحذف في القرآن يأتي بحسب ما يقتضيه المقام والسياق ، فإذا اقتضى المقام الذكر ذكر وإلا لم يذكر[7] .

يقول الثعالبي : (العرب تزيد وتحذف ، حفظاً للتوازن وإيثارا له)[8] ، وساق أمثلة على ذلك فمن أمثلة الزيادة قوله تعالى : (وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠)[9] ، وقوله تعالى : (فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠)[10] ، ويعني في زيادة ألف الإطلا

وأما أمثله الحذف فكقوله : (وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَسۡرِ)[1] ، وقوله : (ٱلۡكَبِيرُ ٱلۡمُتَعَالِ)[2] ، وقوله : (يَوۡمَ ٱلتَّنَادِ)[3]، وقوله : (يَوۡمَ ٱلتَّلَاقِ)[4] ، ويريد في هذه الآيات حذف الياء من أواخر الكلمة .[5]

وقال الثعالبي عن حذف جواب (لو) انه يمكن حذفه اكتفاءً بما يدل عليه الكلام ، وثقةً بفهم المخاطب ، كقوله تعالى : (قَالَ لَوۡ أَنَّ لِي بِكُمۡ قُوَّةً أَوۡ ءَاوِيٓ إِلَىٰ رُكۡنٖ شَدِيدٖ)[6] وتقدير الجواب : لكنت أكف أذاكم عني[7] . والمعنى : انه لو أن لي قوة لحلت بينكم وبين المعصية[8] .

ومثله قوله : (وَلَوۡ أَنَّ قُرۡءَانٗا سُيِّرَتۡ بِهِ ٱلۡجِبَالُ أَوۡ قُطِّعَتۡ بِهِ ٱلۡأَرۡضُ أَوۡ كُلِّمَ بِهِ ٱلۡمَوۡتَىٰۗ بَل لِّلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ جَمِيعًا)[9] قال : والخبر عنه مضمر ، وكأنه قال : لكان هذا القرآن[10] .

وذكر الثعالبي ان من سنن العرب أن تحذف الألف من (ما) إذا استفهمت بها ، فنقول : بم ، ولم ، ومم ، وعلام ، وفيم ؟ كقوله تعالى : (فِيمَ أَنتَ مِن ذِكۡرَىٰهَآ)[11] ، وقوله : (عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ)[12] ، أي : عن ما . فأدغم النون في الميم . ومن الحذف للاختصار ، قوله تعالى : (يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخۡفَى)[13] أي السر وأخفى منه ، وقوله : (وَمَآ أَمۡرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٞ كَلَمۡحِۭ بِٱلۡبَصَرِ)[14] أي إمرة واحدة أو مرة واحدة ، ومن الحذف قولهم

---

[6] التعبير القرآني ص 72 .
[7] ينظر من اسرار البيان القرآني ض 90 .
[8] فقه اللغة ص 369 .
[9] سورة الاحزاب 10 .
[10] سورة الاحزاب 67 .
[1] سورة الفجر 4 .
[2] سورة الرعد 9 .
[3] سورة غافر 32 .
[4] سورة غافر 15 .
[5] ينظر الإتقان ج 4 ص 139 - 140 .
[6] سورة هود 80 .
[7] ينظر فقه اللغة ص 371 .
[8] ينظر البرهان ج 3 ص 186 .
[9] سورة الرعد 31 .
[10] ينظر فقه اللغة ص 372 ، والبرهان ج 3 ص 183 .
[11] سورة النازعات 43 .
[12] سورة النبأ 1 .
[13] سورة طه 7 .
[14] سورة القمر 40 .

: لـم أبل ، ولـم أبـال ، وقولهم : لـم أك ولـم أكن[15] ، كقولـه تعـالى :(وَلَمۡ تَكُ شَيۡـٔٗا)[16] ، ومن سنن العرب الإضمار للتخفيف ، ومن ذلك إضمار (أن) وحذفها من مكانها . كقولـه تعـالى : (وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلۡبَرۡقَ خَوۡفٗا وَطَمَعٗا)[17]أي : أن يريكم البرق.

وكإضمار (من) في قوله تعالى : (وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٞ مَّعۡلُومٞ)[1] أي : إلا مـن لـه ، ومثلـه إضمار (إلى) في قوله : (سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلۡأُولَىٰ)[2] أي : إلـى سيرتها الأولـى ، ومنـه إضمار (من) في قوله : (وَٱخۡتَارَ مُوسَىٰ قَوۡمَهُۥ سَبۡعِينَ رَجُلٗا)[3] أي : من قومـه ، وكحذف الفعل في قولـه : (فَقُلۡنَا ٱضۡرِبُوهُ بِبَعۡضِهَاۚ كَذَٰلِكَ يُحۡيِ ٱللَّهُ ٱلۡمَوۡتَىٰ)[4] وتقديره : فضرب فحيي ، كذلك يحيي الله الموتى ، ومثله : (وَإِذِ ٱسۡتَسۡقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦ فَقُلۡنَا ٱضۡرِب بِّعَصَاكَ ٱلۡحَجَرۖ فَٱنفَجَرَتۡ مِنۡهُ ٱثۡنَتَا عَشۡرَةَ عَيۡنٗاۖ)[5] وتقـديره : فضـرب ، فـانفجرت . ومثلـه قولـه : (فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوۡ بِهِۦٓ أَذٗى مِّن رَّأۡسِهِۦ فَفِدۡيَةٞ مِّن صِيَامٍ)[6] وتقديره : فحلق ، ففديـة ، ومنـه إضمار (القول) في قولـه تعـالى: (فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسۡوَدَّتۡ وُجُوهُهُمۡ أَكَفَرۡتُم)[7] فـي ضمنه ، فيقال لهم: أكفرتم لأن (أما) لابد لها من الخبر، من (فاء) فلما أضمر القول أضمر(الفاء). ومثلـه :(وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوۡمُكُمُ)[8] أي : يقولون : هذا يومكم[9] .

وقد ذكر الإمام الزركشي فرقاً مهماً بين (الحذف) و (الإيجاز) نورده إتماماً للفائدة ، حتى لا يشتبه على بعضٍ الحذف والإيجاز فهما متشابهان في الظاهر .

قال : ((والفرق بينهما أنَّ شرط الحذف والإيجاز أن يكون فـي (الحذف) ثمَّ مقدر ، نحـو :(وَسۡـَٔلِ ٱلۡقَرۡيَةَ)[10] بخلاف الإيجاز ، فإنه عبارة عن اللفظ القليل الجامع للمعاني الجمة في نفسه))[11] وقد ذكر فروقاً أخرى بسط ذكرها في البرهان ج3 ص103 .

المطلب الرابع

(أسلوب التهكم والسخرية)

---

[15] فقه اللغة ص 367 .
[16] سورة مريم 9 .
[17] سورة الروم 24 .
[1] سورة الصافات 164 .
[2] سورة طه 21 .
[3] سورة الأعراف 155 .
[4] سورة البقرة 73 .
[5] سورة البقرة 60 .
[6] سورة البقرة 196 .
[7] سورة آل عمران 106 .
[8] سورة الأنبياء 103 .
[9] ينظر فقه اللغة 379 – 380 .
[10] سورة يوسف 82 .
[11] البرهان ج3 ص102 .

قد يأتي خطاب التهكم والسخرية والذم بصيغة فعل الأمر فيكون ظاهره أمر وباطنه ومعناه ومراده الزجر أو الذم أو السخرية ، وهذا من سنن العرب في كلامهم يقولون : إذا لم تستح فافعل ما شئت[1] ، قال تعالى : (ٱعۡمَلُواْ مَا شِئۡتُمۡ)[2] ، وقال : (وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡ)[3] .

فظاهر الآية الأولى أن يعملوا ما يشاءوا ، إلا أنه تهديد ووعيد شديد[4] ، وكذلك الآية الثانية تخيرهم بين الإيمان والكفر ، وفيها معنى آخر هو التهديد ، لأن الحق لا ريب فيه لازم الإتباع من شاء أن

يؤمن به ... ومن شاء أن يكفر به ..فليفعل ففيه تهديد وإظهار الاستغناء عن متابعتهم[5]

وقد يأتي هذا الأسلوب بصيغة المدح يراد به الذم فيجري مجرى التهكم والهزل ، والعرب تفعل ذلك ، فتقول للرجل تستجهله : يا عاقل ، وللمرأة تستقبحها : يا قمر[6] ، وفي القرآن :(ذُقۡ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡكَرِيمُ)[7] ، وقوله تعالى : (إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلۡحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ)[8] ، وهذا خطاب تهكم وسخرية[9] والتهكم هو الاستهزاء بالمخاطب ، مأخوذ من (تهكّم البئر) إذا تهدمت كما في الآيات السابقة ، وهو مثل قوله تعالى :(فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ)[10] فجعل العذاب بشرى يبشرون به ، وهو ليس كذلك ، وهذا تهكم بهم[11] .

المطلب الخامس

(التذكير والتأنيث)

العرب قد تؤنث اللفظ وحقه التذكير ، وقد تذكّر اللفظ وحقه التأنيث ، وهذا من سنن العرب في كلامهم ، قال تعالى :(وَقَالَ نِسۡوَةٞ فِي ٱلۡمَدِينَةِ)[1] ، وقال تعالى :(قَالَتِ ٱلۡأَعۡرَابُ ءَامَنَّا)[2] .

وقد يترك العرب حكم ظاهر اللفظ ، ويحملونه على معناه . كما يقولون : ثلاثة أنفس ، والنفس مؤنثة ، وإنما حملوه على معنى الإنسان ، أو معنى الشخص[3] . وجاء في القرآن الكريم قوله سبحانه :(وَأَعۡتَدۡنَا لِمَن كَذَّبَ بِٱلسَّاعَةِ سَعِيرًا)[4] والسعير مذكر ، ثم قال :(إِذَا رَأَتۡهُم مِّن مَّكَانِۭ بَعِيدٖ)[5] فهنا حمل المعنى على (النار) فأنثه[6] .

---

(1) ينظر فقه اللغة 359 .
(2) سورة فصلت 40 .
(3) سورة الكهف 29 .
(4) ينظر تفسير البيضاوي ج5 ص116 .
(5) ينظر تفسير ورح المعاني ج15 ص266 .
(6) ينظر فقه اللغة ص371 .
(7) سورة الدخان 49 .
(8) سورة هود 87 .
(9) ينظر الإتقان ج3 ص64 .
(10) سورة التوبة 34 .
(11) ينظر البرهان ج2 ص231 وج4 ص58 .
(1) سورة يوسف 30 .
(2) سورة الحجرات 14 .
(3) ينظر فقه اللغة 367 .
(4) سورة الفرقان 11 .
(5) سورة الفرقان 12 .
(6) ينظر فقه اللغة 369 ، والبرهان ج3 ص367 .

وقال عز اسمه :(وَأَحْيَيْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا)[7] ، فلم يقل : ميتة ، لأنه حمله على المكان[8] ، وقال تعالى :(ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌۢ بِهِۦ)[9] ، فذكر (السماء) وهي مؤنثة ، حمل الكلام على السقف ، وكل ما علاك وأظلك فهو سماء ، فذكر (السماء) حملاً على أنّها اسم جنس لكل ما علاك[10] . وقد فصّل الإمام الزركشي القول في هذه الآية فليرجع إليه[11] .

وهناك ألفاظ يجوز لفظها مذكرة أو مؤنثة ، إذ جاء في أصلها لغتان وقد نطق القرآن باللغتين ، ومن ذلك لفظة (السبيل)[12] ،

قال المولى جل وعلا :(وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ ٱلْغَىِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا)[13]

وقال الجليل في محكم التنزيل :(قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ)[14] . ومثلها لفظة (الطاغوت) تأتي مذكرة ، كقوله سبحانه (يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ)[15]، قد تأتي مؤنثة[16]،كقوله تعالى:(وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا)[17].

المطلب السادس

التعبير القرآني واختيار الألفاظ

وفيه :

أولاً: لفظة (الريح ، المطر)

لم يأت لفظ (الريح) في القرآن الكريم إلا في الشر[1] ، إلا في موضع واحد أعقبه سبحانه بالشر[2] ، وهو قوله تعالى :(حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ)[3] فأنت ترى إن السياق عموماً قد جاء في الشر .

أمّا ما يخص لفظة (الرياح) فلم تأت إلا في سياق الخير[4] .

---

[7] سورة ق 11 .
[8] ينظر فقه اللغة ص369 ، والبرهان ج3 ص359 .
[9] سورة المزمل 18 .
[10] ينظر فقه اللغة 369 ، والإتقان ج2 ص211 .
[11] ينظر البرهان ج3 ص362 .
[12] ينظر فقه اللغة ص372 .
[13] سورة الأعراف 146 .
[14] سورة يوسف 108 .
[15] سورة النساء 60
[16] المصدر نفسه .
[17] سورة الزمر 17 .
[1] فقه اللغة ص423 .
[2] التعبير القرآني ص17 .
[3] سورة يونس 22 .
[4] ينظر فقه اللغة ص423 .

تأمل الآيات الآتية : قوله سبحانه :(وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ ﴿٤١﴾ مَا تَذَرُ مِن شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ)[5] ، وقول الحق سبحانه: (إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ ﴿١٩﴾ تَنزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ)[6] ، وهنا يقول سبحانه : (وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ)[7] ،وقوله:(وَمِنْ آيَاتِهِ أَن يُرْسِلَ الرِّيَاحَ مُبَشِّرَاتٍ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِ وَلِتَجْرِيَ الْفُلْكُ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ)[8] وعن عبد الله بن عمر : الرياح ثمان : فأربع رحمة ، وأربع عذاب : فأما التي للرحمة : فالمبشرات ، والمرسلات ، والذاريات ، والناشرات . وأما التي للعذاب : فالصرصر ، والعقيم ، وهما في البر ، والعاصف والقاصف وهما في البحر[9] .

ولم يأت لفظ (المطر) في القرآن إلا للعذاب ، كما قال عز من قائل : (وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنذَرِينَ)[1] ، وقال : (قَالَ وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أُمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ)[2] وقال أيضاً : (هَذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُم بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ)[3] وغيرها .

وأما في سياق الخير والرحمة فانه يستخدم لفظة (الغيث) بدل لفظة (المطر)[4] ، تأمل الآيات الآتية : قال المولى جل وعلا : (وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِن بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُ)[5] ، وقوله : (ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ)[6] وغيرها .

ثانياً : إقامة (العم مقام الأب) و (الخالة مقام الأم) .

قال تعالى : (أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ)[7] ، وإسماعيل عم يعقوب ، فجعله أباً ، وقال في قصة يوسف (وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ)[8] يعني أباه وخالته ، وكانت أمه قد ماتت فجعل الخالة أُمّاً[9] .

ثالثاً : في إقامة الإنسان في مقام من يشبهه وينوب منابه .

والعرب تفعل ذلك ، فتقول : زيد عمرو ، أي : كأنه هو ، ويقوم مقامه ، ويسد مسده ، وتقول : البحتري أبو تمام ، أي في الشعر ، وهكذا[10] . قال تعالى : (وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ)[11] أي : هن مثلهن في

---

[5] سورة الذاريات 41- 42 .
[6] سورة القمر 19 - 20 .
[7] سورة الأعراف 57 .
[8] سورة الروم 46 .
[9] فقه اللغة ص 424 .
[1] سورة الشعراء 173 .
[2] سورة الفرقان 40 .
[3] سورة الأحقاف 24 .
[4] ينظر التعبير القرآني 17 .
[5] سورة الشورى 28 .
[6] سورة يوسف 49 .
[7] سورة البقرة 133 .
[8] سورة يوسف 100 .
[9] ينظر فقه اللغة ص 415 .
[10] ينظر فقه اللغة ص 402 .

التحريم ، وليس المراد أنهن والدات ، إذ جاء في آية أخرى : (إِنْ أُمَّهَٰتُهُمْ إِلَّا ٱلَّٰٓـِٔى وَلَدْنَهُمْ)[12] فنفى أن تكون الأم غير الوالدة[13]

رابعاً : في إضافة الشيء إلى الله سبحانه .

فالعرب تضيف بعض الأشياء إلى الله سبحانه ، وان كانت كلها له ، فتقول : بيت الله ، وظل الله ، وناقة الله ، قال الجاحظ : (كل شيء أضافه الله إلى نفسه ، فقد عظم شأنه ، وفخم أمره[1]) .

كما قال تعالى : (نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ)[2] فأضاف النار لنفسه فعظم شأنها .

خامساً :في الخطاب يشمل الذكور والإناث ، ولكن بلفظ المذكر ،ويسمى أيضاً بـ : (خطاب التغليب)[3] .

قال تعالى : (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ)[4] وهو لا يريد المؤمنين فقط بل المؤمنات أيضاً ، فعم بهذا الخطاب ، الرجال والنساء ، وغلب الرجال ، وهو من سنن العرب ، يقولون : قوم وامرأة ، وامرأتان ونسوة ، ولا يقال للنساء : قوم ، وإنما سمي الرجال دون النساء ، قوماً لأنهم يقومون في الأمور[5] ، كما قال سبحانه : (ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ)[6] ، والدليل على أن الرجال يطلق عليهم لفظ (القوم) دون النساء ، هو قوله تعالى : (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ)[7] .

سادساً : في نفي الشيء جملة من أجل عدم كمال صفته .

والعرب تفعل ذلك ، قال تعالى عن صفة أهل النار : (ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ)[8] فنفى عنه الموت لأنه ليس بموت صريح ، ونفى عنه الحياة لأنها ليست بحياة طيبة ولا نافعة[9] كما قال عز وجل : (وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُواْ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا)[10] .

ومثله قوله تعالى : (وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ)[1] أي ما هم بسكارى من شرب ، ولكن سكارى من فزع وولّه[2] .

---

[11] سورة الأحزاب 6 .
[12] سورة المجادلة 8 .
[13] المصدر نفسه .
[1] ينظر الحيوان ج2 ص 181 .
[2] سورة الهمزة 6 .
[3] ينظر البرهان ج 3 ص 302 .
[4] سورة آل عمران 102 .
[5] ينظر فقه اللغة ص 373 .
[6] سورة النساء 34 .
[7] سورة الحجرات 11 .
[8] سورة الأعلى 13 .
[9] ينظر فقه اللغة ص 375 ، وروح المعاني ج 30 ص 108 .
[10] سورة فاطر 36 .
[1] سورة الحج 2 .

سابعاً: في تسمية الشيء باسم غيره .

والعرب تفعل ذلك إذا كان مجاوراً له ، أو كان منه بسبب كتسميتهم الغيث بالسماء لأنه منها ينزل[3] ، وفي القرآن الكريم :(يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا)[4] أي المطر . وقال تعالى :(إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعْصِرُ خَمْرًا)[5] أي عنباً[6] ، ولا خفاء بمناسبتهما . ومثله قوله عز شأنه :(فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ)[7] أي يوم عاصف الريح[8] .

ثامناً: العدول عن خطاب الحاضر إلى الغائب وبالعكس

كقوله تعالى :(حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ)[9] فقال : كنتم في الفلك ، ثم قال : بهم . وهنا عدل عن خطاب الحاضر إلى الغائب[10] .

ومنه قوله :(ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ)[11] وهنا عدل من الكناية إلى المخاطب الحاضر[12] ، أي عدل من خطاب الغائب إلى خطاب الحاضر .

تاسعاً: إجراء ما لا يعقل ولا يفهم من الحيوانات والجماد مجرى بني آدم .

وذلك كقوله تعالى :(يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ)[1] .

وقوله :(وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ ۖ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ بَطْنِهِۦ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰٓ أَرْبَعٍ)[2] . يقال : إنه قال ذلك تغليباً لمن يمشي على رجلين ، وهم بنو آدم ، حيث إن العرب تغلّب ما يعقل على غيره ، كما تغلب المذكر على المؤنث[3] .

ويدخل في ذلك إضافة الفعل إلى ما ليس فاعله على الحقيقة ، مثل قوله تعالى :(فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ)[4] ، ولا إرادة للجدار ، ولكنه من توسع العرب في المجاز والاستعارة[5] .

ومن سنن العرب أن تجري الموات وما لا يعقل ، في بعض الكلام مجرى بني آدم ، فتقول في جمع أرض : أرضون ، وتقول : لقيت منهم الأمرين[6] . قال تعالى :(لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا

---

(2) ينظر فقه اللغة ص 375 ، والكشاف خ 3 ص 144 .
(3) ينظر فقه اللغة ص360 .
(4) سورة هود 52 .
(5) سورة يوسف 36 .
(6) ينظر فقه اللغة ص360 ، وتفسير الجلالين ج1 ص309 .
(7) سورة إبراهيم 18 .
(8) ينظر فقه اللغة 360 ، وأضواء البيان ج2 ص245 .
(9) سورة يونس 22 .
(10) ينظر فقه اللغة 361 ، والإتقان ج3 ص67 .
(11) سورة الفاتحة 1- 4 .
(12) المصدران نفسيهما ، والبرهان ج3 ص315 .
(1) سورة النمل 18 .
(2) سورة النور 45 .
(3) ينظر فقه اللغة 361 ، والإتقان ج3 ص67 .
(4) سورة الكهف 77 .
(5) ينظر فقه اللغة ص403 .
(6) المصدر نفسه ص422 .

ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ وَكُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ)[7] ، وقال :(وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ رَأَيۡتُهُمۡ لِي سَٰجِدِينَ)[8] ، وقال :(لَقَدۡ عَلِمۡتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ)[9] ، وهل تسجد الشمس والقمر ، وهل تنطق الحجارة والخشب .

عاشراً: إضافة الشيء إلى صفته .

مثل قوله سبحانه :(وَلَدَارُ ٱلۡأٓخِرَةِ خَيۡرٞ)[10] ، وقوله :(قُلۡ إِن كَانَتۡ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةٗ)[11] ، وقوله :(إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلۡيَقِينِ)[12] ، وهو كقول العرب : مسجد الجامع ، وكتاب الكامل ، وحماد عجرد ، وعنقاء مغرب ، ويوم الجمعة[13] .

إحدى عشر: التخصيص بعد العموم ، وبالعكس .

فالعرب قد تذكر الشيء على عمومه ، ثم تخص منه الأفضل فالأفضل ، كقوله تعالى : (حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلۡوُسۡطَىٰ)[1] .

وقوله :(فِيهِمَا فَٰكِهَةٞ وَنَخۡلٞ وَرُمَّانٞ)[2] ، وإنما أفرد الله الصلاة الوسطى من الصلاة ، وهي داخلة في جملتها ، وأفرد التمر والرمان من جملة الفاكهة وهما منهما للاختصاص والتفضيل ، كما أفرد جبريل وميكائيل من الملائكة[3] ، فقال :(مَن كَانَ عَدُوّٗا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبۡرِيلَ وَمِيكَىٰلَ)[4] ، وهذا تخصيص بعد عموم .

وأمّا ذكر العام بعد الخاص فكقوله عز وجل :(وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَٰكَ سَبۡعٗا مِّنَ ٱلۡمَثَانِي وَٱلۡقُرۡءَانَ ٱلۡعَظِيمَ)[5] ، فخص السبع وهي جزء من القرآن الكريم ، ثم ذكر العام وهو القرآن العظيم[6]

المبحث الثاني

ألفاظ المفرد والمثنى والجمع وأبنية الأسماء والأفعال

---

[7] سورة يس 40 .
[8] سورة يوسف 4 .
[9] سورة الأنبياء 65 .
[10] سورة يوسف 109 .
[11] سورة البقرة 94 .
[12] سورة الواقعة 95 .
[13] ينظر فقه اللغة ص370 .
[1] سورة البقرة 238 .
[2] سورة الرحمن 68 .
[3] ينظر فقه اللغة ص358
[4] سورة البقرة 98 .
[5] سورة الحجر 87 .
[6] ينظر فقه اللغة ص358 ، والإتقان ج3 ص18

المطلب الأول

أولاً: اللفظ يطلق على المفرد والجمع .

ويعني الثعالبي أن هناك ألفاظاً تستعمل مع المفرد والجمع من غير تغير في صيغتها ، مثل كلمة (الفلك) ، قال تعالى :(فِي ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ)[1] ، فلما جمعه قال :(وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ)[2] ، ومن ذلك قولهم : رجل جنب ، ورجال جنب . قال تعالى :(وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَٱطَّهَّرُواْ)[3] ، ومثلها (العدو) قال تعالى :(فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ)[4] ، وقال : (فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ)[5] ، ومثله(الضيف) ، قال تعالى :(هَٰٓؤُلَآءِ ضَيْفِي)[6] ، فلم يقل (ضيوفي) لأنه مصدر ، ولم (الأعداء) ، وكثيراً ما يجيء هذا في الخبر[7] ،وقد ذكر الإمام الزركشي الأمثلة التي ساقها الإمام الثعالبي وزاد عليها وفصل فيها فليرجع إليه .

وفي إقامة الواحد مقام الجمع ، ذكر الثعالبي أن العرب تقول : قررنا به عينا ، أي : أعيناً ، قال تعالى :(فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا)[8] ، وقال :(ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا)[9] أي : أطفالاً ، وقال تعالى : (وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِي شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا)[10] ، والتقدير : وكم ملائكة في السماوات[11] ، وقال تعالى

:(لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ)[12] والتفريق لا يكون إلا بين اثنين ، والتقدير : لا نفرق بينهم[13] .

ثانياً: التعبير عن الواحد بصيغة الجمع .

وهو من سنن العرب ، كما قال تعالى :(مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُواْ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ)[1] ، وإنما أراد المسجد الحرام ، وقال تعالى :(وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَٱدَّٰرَءْتُمْ فِيهَا)[2] وكان القاتل واحداً فقط[3] .

ثالثاً: الجمع بين شيئين اثنين ثم ذكر أحدهما دون الآخر وبالعكس .

---

(1) سورة الشعراء 119 .
(2) سورة البقرة 164 .
(3) سورة المائدة 6 .
(4) سورة الشعراء 77 .
(5) سورة النساء 92 .
(6) سورة الحجر 68 .
(7) ينظر البرهان ج2 ص233 ، وفقه اللغة ص363 .
(8) سورة النساء 4 .
(9) سورة الحج 5 .
(10) سورة النجم 26 .
(11) ينظر فقه اللغة ص 363 .
(12) سورة البقرة 136 .
(13) المصدر نفسه
(1) سورة التوبة 17 .
(2) سورة البقرة 72 .
(3) ينظر فقه اللغة 364 ، والبرهان ج2 ص234 ، والإتقان ج3 ص64 .

ذكر الثعالبي إن العرب تقول : رأيت عمرواً وزيداً وسلمت عليه ، أي : عليهما[4] ، قال تعالى :(وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ)[5] والتقدير : ولا ينفقونهما . وقال تعالى :(وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓا۟ إِلَيْهَا)[6] والتقدير : انفضوا إليهما . وقال :(وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓا۟ أَيْدِيَهُمَا)[7] ولم يقل : يديهما [8] .

ومثل ذلك مخاطبة الاثنين ثم النص على أحدهما دون الآخر[9] ، وقال تعالى :(قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ)[10] فسياق الآية وما قبلها في خطاب الاثنين معاً (موسى وهارون) ولكنه في هذه الآية انتقل مباشرة من خطاب المثنى إلى المفرد للتنصيص والتخصيص[11] . ومثله قوله تعالى :(فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ)[12] خاطب آدم وحواء ، ثم نص في إتمام الخطاب على آدم وأغفل حواء[13] .

والسبب في إفراد موسى بالخطاب لأنه صاحب الرسالة وهارون تبعٌ له ، ولأن فرعون هو الذي ربّى موسى فألتفت إليه ، وقد ذكر الزمخشري أمراً آخر وهو أنّ هارون لما كان أفصح لساناً من موسى ، نكب فرعون عن خطابه حذراً من لسانه[14] . والسبب في إفراد آدم (ع) بالشقاء ، لأنه المخاطب أولاً ، وقيل : لأن الله جعل الشقاء في معيشة الدنيا على الرجال غالباً ، وقيل : إغضاءً عن ذكر المرأة ، كما قيل : من الكرم ستر الحرم[15] .

وقد ينسب الفعل إلى الاثنين وهو إلى أحدهما على الحقيقة[1] ، قال تعالى :(فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا)[2] وكان النسيان من أحدهما[3] ، فنسب النسيان إليهما جميعاً لسكوت موسى عنه[4] . وقال تعالى

:(مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ)[5] أي : كلاهما يجتمعان ، وأحدهما عذب والآخر مالح وبينهما برزخ أي حاجز، ثم قال :(يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ)[6] ،وإنما يخرج من الملح لا من العذب[7] .

---

[4] ينظر فقه اللغة ص361 .
[5] سورة التوبة 34 .
[6] سورة الجمعة 11 .
[7] سورة المائدة 38 .
[8] ينظر فقه اللغة ص362 .
[9] ينظر فقه اللغة ص370 .
[10] سورة طه 49 .
[11] ينظر بلاغة الكلمة في التعبير القرآني ص97 .
[12] سورة طه 117 .
[13] ينظر فقه اللغة ص370 .
[14] ينظر الكشاف ج3 ص68 ، والإتقان ج3 ص65 ، وبلاغة الكلمة ص97 .
[15] ينظر الإتقان ج3 ص66 .
[1] ينظر فقه اللغة 402 .
[2] سورة الكهف 61 .
[3] ينظر فقه اللغة ص402 .
[4] ينظر البرهان ج3 ص4 .
[5] سورة الرحمن 19 .
[6] سورة الرحمن 22 .
[7] المصدران نفسيهما .

رابعاً: عود ضمير الجمع على المثنى (إجراء الاثنين مجرى الجمع) .

كقوله تعالى :(هَٰذَانِ خَصۡمَانِ ٱخۡتَصَمُواْ فِي رَبِّهِمۡ)[8] فالواو هنا ضمير جمع يعود على المثنى[9] .

خامساً: الإخبار عن الجماعتين بلفظ الاثنين .

كما قال تعالى :(أَوَلَمۡ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ كَانَتَا رَتۡقٗا فَفَتَقۡنَٰهُمَا)[10] .

سادساً: في الجمع ليس بينه وبين مفرده إلا (الهاء) وهذا الجمع يذكر ويؤنث ، كقولهم : تمر وتمرة ، سحاب وسحابة ، صخر وصخرة ، نخل و نخلة[11]، وقال تعالى :(وَٱلنَّخۡلَ بَاسِقَٰتٖ لَّهَا طَلۡعٞ نَّضِيدٞ)[12] ، قال :(إِنَّ ٱلۡبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيۡنَا)[13] وقال : (وَٱلسَّحَابِ ٱلۡمُسَخَّرِ بَيۡنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ)[14] فذكّر .وقال في مكان آخر :(حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتۡ سَحَابٗا ثِقَالٗا)[15] فأنّث ، ثم قال :(سُقۡنَٰهُ لِبَلَدٖ مَّيِّتٖ)[16] فرده إلى أصل التذكير[17] .

سابعاً: في جمع الجمع : تقول العرب : أعراب وأعاريب ، وأعْطِيَة وأعطيات ، وأسقية وأسقيات ، وطرق وطرقات ، وجمال وجمالات ، وإسورة وأساور[1] ، قال تعالى :(إِنَّهَا تَرۡمِي بِشَرَرٖ كَٱلۡقَصۡرِ ﴿٣٢﴾ كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٞ صُفۡرٞ)[2] وقال تعالى :(يُحَلَّوۡنَ فِيهَا مِنۡ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٖ)[3] ، وليس كل جمع يجمع ، كما لا يجمع كل مصدر[4] .

ولا بد أن نشير هنا إلى أن الإمام الثعالبي قد ذكر كلمة (جمالات) وهي كذلك في رواية شعبة ، أما حفص فقد قرأها (جمالة)[5] . وهذا هو الموضع الوحيد الذي استخدم فيه الثعالبي القراءات ولذلك لم نفرد له مطلباً خاصاً .

المطلب الثاني

الكلام عن الأسماء والأفعال وصيغها وأبنيتها وغير ذلك

---

[8] سورة الحج 19 .
[9] ينظر فقه اللغة ص366 ، والكشاف ج30 ص150 .
[10] سورة الأنبياء 30 .
[11] ينظر فقه اللغة ص431 .
[12] سورة ق 10 .
[13] سورة البقرة 70 .
[14] سورة البقرة 164 .
[15] سورة الأعراف 57 .
[16] سورة الأعراف 57 .
[17] ينظر فقه اللغة ص431 .
[1] ينظر فقه اللغة ص373 .
[2] سورة المرسلات 32- 33 .
[3] سورة الكهف 31 .
[4] المصدر نفسه .
[5] ينظر إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر ص568 .

أولاً: إقامة الاسم والمصدر مقام الفاعل والمفعول :

تقول العرب: بنو فلان لنا سلم، أي: مسالمون، وحرب أي: محاربون . قال تعالى :

(وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ)[1] ، وتقديره : ولكن البر برّ من آمن بالله ، فأضمر ذكر البر وحذفه[2] .

ثانياً: الفعل يأتي بلفظ الماضي وهو مستقبل ، وبالعكس .

قال تعالى:(أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ)[3]أي: يأتي، وقال تعالى :(فَلَاصَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ)[4]أي : لم يصدق ولم يصل[5] .

وقال سبحانه في ذكر الماضي بلفظ المستقبل :(فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ)[6] أي : لم قتلتم ، وقال تعالى :(وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ)[7] أي : ما تلت .

وقد تأتي (كان) بلفظ الماضي ، ومعنى المستقبل ، كما قال تعالى :(إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا)[8] أي : كان ويكون ، وهو كائن الآن جل ثناؤه ، ومنه قول الشاعر من الطويل :

فأدركت من قد كان قبلي ولم أدع لمن كان بعدي في القصائد مصنفاً

أي لمن يكون بعدي[9] .

ثالثاً: إضافة الاسم إلى الفعل .

قال تعالى :(قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ)[10] ، قال تعالى :(هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ)[11] ، وهذا من سنن العرب في كلامهم ، ويقولون : هذا عام يغاث الناس ، وهذا يوم يدخل الأمير ، وهكذا[12] .

رابعاً: ذكر اللازم بالألف يجيء من لفظه متعد بغير ألف : قال تعالى :(أَفَمَن يَمْشِى مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ)[13] ، وقال :(فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ)[14] ، فألف التعدية ربما تكون للشيء نفسه ويكون الفاعل به ذلك بلا

ألف ، كقولهم : أقشع الغيم، وقشعته الريح، وانسل ريش الطائر، ونسلته أنا، وأكبّ فلان على وجهه ، وكببته أنا[15] .

---

[1] سورة البقرة 177 .
[2] ينظر فقه اللغة ص367 ، والكشاف ج1 ص261 .
[3] سورة النحل 1 .
[4] سورة القيامة 31 .
[5] ينظر فقه اللغة ص365 ، والمحرر الوجيز ج5 ص406 .
[6] سورة البقرة 91 .
[7] سورة البقرة 102 .
[8] سورة النساء 106 .
[9] ينظر فقه اللغة ص365 .
[10] سورة الحجر 36 .
[11] سورة المرسلات 35 .
[12] ينظر فقه اللغة ص357 .
[13] سورة الملك 22 .
[14] سورة النمل 90 .
[15] المصدر نفسه ص376

خامساً: أبنية الأفعال :

في الغالب تأتي (فعّل) بمعنى التكثير ، كقوله :(وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ)[1] وقوله :(وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ)[2] وهذه الصيغ تدل على المبالغة[3]. ومثله :(قَـٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ)[4] أي : قتلهم .

سادساً: صيغة فاعل بمعنى المفعول :

قال تعالى :(إِنَّهُۥ كَانَ وَعْدُهُۥ مَأْتِيًّا)[5] أي : آتياً ، ومثله قوله :(حِجَابًا مَّسْتُورًا)[6] أي : ساتراً[7] لآن الحجاب يستر ولا يستر[8] .

سابعاً: صيغة مفعول بمعنى فاعل :

تقول العرب : سر كاتم ، أي مكتوم ، ومكان عامر ، أي : معمور[9] ، قال تعالى :(قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ)[10] أي لا معصوم ، وقال تعالى :(خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ)[11] أي : مدفوق ، وقال تعالى : (عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ)[12] أي : مرضية ، وقال :(حَرَمًا ءَامِنًا)[13] أي : مأموناً[14].

ثامناً: صيغة (أفعل) لا يراد بها التفضيل .

قال تعالى :(وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ)[15] أي : أيسر عليه وأخف . والعرب تقول : جرى له طائر أشأم[16]، والمتعارف عليه عن صيغة (أفعل) تفيد التفضيل إلا هنا في الآية ليس كذلك .

المطلب الثالث

وقوع حروف المعاني بعضها مكان بعض ، والزوائد من الحروف والكلمات

أولاً: وقوع حروف المعنى مواقع بعض .

---

[1] سورة يوسف 23 .
[2] سورة البقرة 49 .
[3] ينظر فقه اللغة ص309 ، ومعاني الأبنية في العربية ص105 .
[4] سورة التوبة 30 .
[5] سورة مريم 61 .
[6] سورة الإسراء 45
[7] ينظر فقه اللغة ص366 .
[8] للاستزادة ينظر معاني الأبنية ص59 وما بعدها .
[9] فقه اللغة ص365 .
[10] سورة هود 43 .
[11] سورة الطارق 6 .
[12] سورة الحاقة 21 .
[13] سورة العنكبوت 67 .
[14] ينظر فقه اللغة ص366 ، والبرهان ج2 ص502 .
[15] سورة الروم 27 .
[16] ينظر فقه اللغة ص427 .

(أمْ) تقع موقع (بل) كما قال عز وجل :(أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ)[1] أي : بل يقولون شاعر . قال سيبويه (أمْ) تأتي بمعنى الاستفهام . كقوله تعالى :(أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْـَٔلُوا۟ رَسُولَكُمْ)[2] أي : أتريدون أن تسألوا رسولكم[3] .

(أو) تأتي بمعنى (واو العطف) ، قال تعالى :(وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا)[4] أي : آثماً وكفورا ،وتأتي بمعنى (بل) ، قال تعالى :(وَأَرْسَلْنَـٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ)[5] أي : بل يزيدون[6] .

(أن) بمعنى (لعلّ) ، قال تعالى :(وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ)[7] أي : لعلها إذا جاءت [8] .

(إنْ) المخففة بمعنى (إذ) ، قال تعالى :(وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ)[9] أي : إذ كنتم مؤمنين ، وقد تأتي بمعنى (لقد) قال تعالى :(إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَـٰفِلِينَ)[10] أي : ولقد كنا[11].

(إلى) بمعنى (مع) قال تعالى:(مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ)[12] أي: مع الله ، وقال تعالى :(وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْ)[13] أي : مع أموالكم . وقال تعالى :(فَٱغْسِلُوا۟ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ)(كُنتُمْ ٱلْكَعْبَيْنِ) أي : مع المرافق .

(إلا) بمعنى (بل) قال تعالى :(طه ﴿١﴾ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ﴿٢﴾ إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ)[15] والمعنى: بل تذكرة لمن يخشى ، وقال تعالى :(فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٤﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ)(فَأَظْهَرُوا۟ ٱلْكَعْبَيْنِ) معناه : بل الذين آمنوا لهم أجر غير منون(أَلْكَعْبَيْنِ) .

وتأتي بمعنى (لكن) قال تعالى :(لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾ إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ)[1] ومعناه : ولكن من تولى وكفر[أ] .

---

[1] سورة الطور 30 .
[2] سورة البقرة 108 .
[3] ينظر فقه اللغة 396 ، والبرهان ج4 ص180 .
[4] سورة الإنسان 24 .
[5] سورة الصافات 147 .
[6] المصدران نفسيهما .
[7] سورة الأنعام 109 .
[8] ينظر فقه اللغة 396 .
[9] سورة آل عمران 139 .
[10] سورة يونس 29 .
[11] المصدر نفسه .
[12] سورة آل عمران 52 .
[13] سورةالنساء2.
[14] سورة المائدة 6 .
[15] سورة طه 1 - 2
[16] سورة الإنشقاق 24 - 25 .
[17] ينظر فقه اللغة ص 397 ، والإتقان ج2 ص 111 .
[1] سورة الغاشية 22 - 23 .
[2] ينظر فقه اللغة 398 .

(إذ) بمعنى (إذا) قال تعالى :(وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُواْ فَلَا فَوْتَ)[3]أي : إذا فزعوا . وقال تعالى :(إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ)[4] والمعنى : إذا قال يا عيسى . لأن (إذا) و (إذ) بمعنى واحد في بعض المواضع ، وأما قوله :(وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُواْ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ)[5] (فترى) مستقبل و(إذ) للماضي وإنما قال كذلك لأن الشيء كائن ، وإن لم يكن بعد ، وهو عند الله قد كان لأن علمه به سابق وقضاءه نافذ فهو لا محالة كائن[6].

(أنّى) بمعنى (كيف) قال تعالى :(أَنَّىٰ يُحْيِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا)[7] أي : كيف ، وقال :(رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ)[8] أي : كيف يكون[9] .

(أيّان) بمعنى (متى) قال تعالى :(وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ)[11] أي : متى[12] .

(بل) بمعنى (إن) قال تعالى :(صٓ ۚ وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ ۝١ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِى عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ)[13] معناه : إن الذين كفروا في عزة وشقاق ، لأن القسم لا بد له من جواب[14] .

(بعد) بمعنى (مع) قال تعالى :(عُتُلٍّۭ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ)[15] أي : مع ذلك[16] .

(ثم) بمعنى (واو) العطف، قال تعالى :(فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ ٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ)[17] أي : والله شهيد على ما يفعلون[18].

(كأيّن) بمعنى (كم) قال تعالى :(وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِۦ)[19] أي : وكم من قرية عتت عن أمر ربها ورسله[20] .

(لو) بمعنى (إن) المخففة ، قال الفراء : (لو) تقوم مقام (إن) الخفيفة ، كما قال تعالى : (لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ)[1] ، ولولا إنها بمعنى (إنْ) لاقتضت جواباً ، لأن

---

[3] سورة سبأ 51 .
[4] سورة آل عمران 55.
[5] سورة الأنعام 27 .
[6] ينظر فقه اللغة 398 ، والبرهان ج 4 ص 207 .
[7] سورة البقرة 259 .
[8] سورة آل عمران 47 .
[10] ينظر فقه اللغة 398 ، والبرهان ج4 ص249 .
[11] سورة النحل 21 .
[12] المصدران نفسيهما ج4 ص251 .
[13] سورة ص 1- 2 .
[14] المصدران نفسيهما ج4 ص258 .
[15] سورة القلم 13 .
[16] ينظر فقه اللغة ص 399 .
[17] سورة يونس 46 .
[18] ينظر فقه اللغة 399 والبرهان ج4 ص268 .
[19] سورة الطلاق 8 .
[20] المصدران نفسيهما ج4 ص311 .
[1] سورة التوبة 33 .

(لو) لا بد لها من جواب ظاهر ، أو مضمر[2] ، كما قال تعالى :(وَلَوۡ نَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ كِتَٰبٗا فِي قِرۡطَاسٖ فَلَمَسُوهُ بِأَيۡدِيهِمۡ لَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ مُّبِينٞ)[3] .

(لولا) بمعنى (هلا) قال تعالى :(فَلَوۡلَآ إِذۡ جَآءَهُم بَأۡسُنَا تَضَرَّعُواْ)[4] أي : فهلا ، وقوله :(لَّوۡ مَا تَأۡتِينَا بِٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ)[5] أي : هلا تأتينا[6] .

(لمّا) قد تأتي بمعنى (لم) وفي هذه الحالة لا تدل إلا على المستقبل ، قال تعالى :(بَل لَّمَّا يَذُوقُواْ عَذَابِ)[7] أي : لم يذوقوا ، وقال :(كَلَّا لَمَّا يَقۡضِ مَآ أَمَرَهُۥ)[8] أي : لم يقض ، فأمّا (لمّا) التي للزمان ، فتكون للماضي ، كقولنا : قصدتك لما ورد فلان[9] . أي : حين ورد فلان .

(لا) بمعنى (لم) قال تعالى :(فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ)[10] أي : لم يصل ولم يصدق[11] .

(لدن) بمعنى (عند) قال تعالى :(قَدۡ بَلَغۡتَ مِن لَّدُنِّي عُذۡرٗا)[12] أي : من عندي ، وقال :(وَأَلۡفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلۡبَابِ)[13] أي : عند الباب[14] .

(لعّل) بمعنى (كي) قال تعالى :(وَأَنۡهَٰرٗا وَسُبُلٗا لَّعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ)[15] أي : كي تهتدوا[16] .

(ما) بمعنى (من) قال تعالى :(وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ)[17] أي : ومن خلق ، وقال :(وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا ۝٥ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا طَحَىٰهَا ۝٦ وَنَفۡسٖ وَمَا سَوَّىٰهَا)[18] أي : ومن بناها ، ومن طحاها ، ومن سواها ، وأهل مكة يقولون إذا سمعوا صوت الرعد : سبحان ما سبحت له الرعد ، أي : من سبحت له الرعد[19] .

(في) بمعنى (على) قال تعالى :(وَلَأُصَلِّبَنَّكُمۡ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخۡلِ)[1] لأن الجذع للمصلوب بمنزلة القبر للمقبور ، فلذلك جاز أن يقال : في ، وإنما آثر لفظة (في) للإشعار بسهولة صلبهم ، لأن (على) تدل على نبوٍّ يحتاج فيه إلى تحرك إلى فوق[2] .

---

[2] ينظر فقه اللغة ص400 ، والبر هان ج4 ص373 .
[3] سورة الأنعام 7 .
[4] سورة الأنعام 43 .
[5] سورة الحجر 7 .
[6] المصدران نفسيهما ج4 ص378- 379 .
[7] سورة ص 8 .
[8] سورة عبس 23 .
[9] المصدران نفسيهما ج4 ص381 .
[10] سورة القيامة 31 .
[11] المصدران السابقان ج4 ص355 .
[12] سورة الكهف 76 .
[13] سورة يوسف 25 .
[14] ينظر فقه اللغة ص401 ، والبرهان ج4 ص396 .
[15] سورة النحل 15 .
[16] ينظر فقه اللغة ص401 ، والبرهان ج4 ص 394 .
[17] سورة الليل 3
[18] سورة الشمس 7- 8 .
[19] المصدران نفسيهما ج4 ص400 .
[1] سورة طه 71 .
[2] المصدران السابقان ج4 ص303 .

(من) بمعنى (على) قال تعالى :(وَنَصَرْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ)[3] أي : على القوم ، وقيل : على

التضمين ، أي منعناه منهم بالنصر[4] .

(حتى) بمعنى (إلى) قال تعالى :(سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ)[5] أي : إلى مطلع الفجر .

وقد ذكر الإمام الثعالبي حروفاً أخر ، لم يستشهد لها بالقرآن الكريم ، بل استشهد لها بالشعر وكلام العرب ، أعرضنا عن ذكرها حتى لا نخرج عن القرآن الكريم ، وعدم الإطالة[6].

ثانياً : الزوائد من الحروف والكلمات .

(الباء الزائدة) : تقول العرب : أخذت بزمام الناقة ، وفي القرآن الكريم :(لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِى وَلَا بِرَأْسِىٓ)[1] ، وقال :(أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ)[2] فالباء زائدة ، والتقدير : ألم يعلم أن الله يرى ، فالفعل يتعدى بنفسه[3] ، كما في قوله تعالى :(وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ)[4] .

زيادة (التاء) في (ثم وربّ) ، تقول : ثمت ، وربت ، وتزاد أيضاً في (لات) ، قال تعالى :(وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ)[5] ، أي : لا حين من مناص .

زيادة (لا) ، قال تعالى :(لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ)[6] أي : أقسم . وقال :(غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ)[7] أي : والضالين . وقال :(مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ)[8] أي : ما منعك أن تسجد[9] .

زيادة (ما) ، قال تعالى :(فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ)[10] أي : فبرحمة من الله ، وقال :(فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ)[11] أي فبنقضهم ميثاقهم ، وقد زيدت (ما) هنا بعد حرف الجر[12] . وقال تعالى :(وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ)[13] أي : قليل هم .

زيادة (ما) في (ربّ) ، قال تعالى :(رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ كَانُوا۟ مُسْلِمِينَ)[14] .

---

[3] سورة الأنبياء 77 .
[4] المصدران نفسيهما ج4 ص420 .
[5] سورة القدر 5 .
[6] ومن أراد الاستزادة فليرجع لكتاب فقه اللغة ص395 – 402 والبرهان ج4 عند كلامه عن المفردات من الأدوات ، فالزركشي خير من فصّل في ذلك.
[1] سورة طه 94 .
[2] سورة العلق 14 .
[3] ينظر فقه اللغة ص381 ، والبرهان ج3 ص83 .
[4] سورة النور 25 .
[5] سورة ص 3
[6] سورة القيامة 1 .
[7] سورة الفاتحة 7 .
[8] سورة الأعراف 12 .
[9] المصدران نفسيهما ج3 ص78- 79 .
[10] سورة آل عمران 159 .
[11] سورة النساء 155 .
[12] ينظر فقه اللغة ص382 ، والبرهان ج3 ص77 .
[13] سورة ص 24 .
[14] سورة الحجر 2 .

زيادة (مِنْ) ، قال تعالى :(وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ)[15] أي : وما تسقط ورقة ، وقال :(وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ)[16] أي : وكم ملك ، وقال :(وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا)[17] أي : وكم قرية ، وقال :(قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ)[18] أي : يغضوا أبصارهم عمّا حرم الله[19] .

زيادة (اللام) ، قال تعالى :(لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ)[1] أي : ربهم يرهبون ، وقال :(إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ)[2] أي : ان كنتم الرؤيا تعبرون ، وقد زيدت هنا لتقوية العامل لأنه متأخر[3] .

زيادة (كان) ، قال تعالى :(قَالَ وَمَا عِلْمِى بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ)[4] أي : بما يعملون[5] .

زيادة (اسم) ، قال تعالى :(بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْرٖىٰهَا)[6] ، والمراد : بالله ، ولكنه لمّا أشبه القسم زيد 2فيه الاسم .

زيادة (وجه) ، قال تعالى :(وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ)[7] أي : ويبقى ربك .

زيادة (مِثْل) ، قال تعالى :(وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ)[8] أي : عليه[9] .

زيادة (ألف الوجدان ، وألف التحويل)[10] ، قال تعالى :(فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ)[11] أي : لا يجدونك كذاباً ، وقال :(لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ)[12] ، فإنها نون التوكيد حولت ألفاً[13] .

زيادة (الباء) ، ومنها (باء) التبعيض ، قال تعالى :(وَٱمْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ)[14] أي : بعضها ، و (باء) المصاحبة ، قال تعالى :(وَقَد دَّخَلُواْ بِٱلْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُواْ بِهِۦ)[15]. و (باء) السبب ، قال تعالى :(وَكَانُواْ بِشُرَكَآئِهِمْ كَٰفِرِينَ)[16] أي : من أجل شركائهم وبسببهم ، وقال :(وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ)[17] أي : من اجله[18] .

---

[15] سورة الأنعام 59 .
[16] سورة النجم 26 .
[17] سورة الأعراف 4 .
[18] سورة النور 30 .
[19] ينظر فقه اللغة ص383 ، والبرهان ج3 ص82 .
[1] سورة الأعراف 154 .
[2] سورة يوسف 43 .
[3] ينظر فقه اللغة ص383 ، والبرهان ج3 ص86 .
[4] سورة الشعراء 112 .
[5] ينظر فقه اللغة ص383 .
[6] سورة هود 41 .
[7] سورة الرحمن 27 .
[8] سورة الأحقاف 10 .
[9] ينظر فقه اللغة 384
[10] المصدر نفسه .
[11] سورة الأنعام 33 .
[12] سورة العلق 15 .
[13] المصدر نفسه .
[14] سورة المائدة 6 .
[15] سورة المائدة 61 .
[16] سورة الروم 13 .
[17] سورة المؤمنون 59 .

زيادة (الباء) الداخلة على نفس المخبر والظاهر إنها لغيره ، تقول : رأيت بفلان رجلاً جلداً ، حيث توهم أنك لقيت بفلان رجلاً قوياً غير فلان ، وليس كذلك ، وإنما أردت نفسه[19] ، قال تعالى :(فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا)[20]

ومنها زيادة (الباء) الواقعة موقع (مِنْ ، وعن) قال تعالى :(سَأَلَ سَآئِلُۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ)[1] أي : عن عذاب واقع ، قال تعالى :(عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ)[2] أي : منها[3]

زيادة (الباء) التي بمعنى (حيث) ، قال تعالى :(فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِ)[4] أي : حيث يفوزون ، تقول العرب : أنت بالمجرب ، أي : حيث التجريب[5]

زيادة(تاء القسم)ولا تستعمل إلا في إسم الله عز وجل ، قال تعالى :(وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم)[6]

زيادة (الفاء) التي تكون جواباً للشرط ، قال تعالى :(وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَتَعْسًا لَّهُمْ)[7]

زيادة (الفاء) التي تجيء بعد النفي والنهي ، قال تعالى :(وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَىْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ)[8] وقال تعالى :(وَلَا تَطْغَوْاْ فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِى)[9]

زيادة (كاف التشبيه) ، قال تعالى :(لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ)[10] أي : ليس مثله شيء [11].

زيادة (لام الابتداء) ، قال تعالى :(لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِى صُدُورِهِم مِّنَ ٱللَّهِ)[12]

زيادة (لام الملك) ، قال تعالى :(لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ)[13]

زيادة (لام السبب) ، قال تعالى :(إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ)[14] أي : من أجله ، ومثله :(وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ)[15] أي : من أجل ذكري[16] .

زيادة (لام عند) قال تعالى :(أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ)[17] أي : عند دلوكها .

---

[18] ينظر فقه اللغة ص385 ، والبرهان ج3 ص83- 84 .
[19] ينظر فقه اللغة ص385 .
[20] سورة الفرقان 59 .
[1] سورة المعارج 1 .
[2] سورة الإنسان 6 .
[3] المصدر السابق. ص386 .
[4] سورة آل عمران 188 .
[5] المصدر نفسه 387 .
[6] سورة الأنبياء 57 .
[7] سورة محمد 8 .
[8] سورة الأنعام 52 .
[9] سورة طه 81 .
[10] سورة الشورى 11.
[11] ينظر فقه اللغة ص389 ، والمحرر الوجيز ج5 ص28 .
[12] سورة الحشر 13 .
[13] سورة البقرة 284 .
[14] سورة الإنسان 9 .
[15] سورة طه 14 .
[16] ينظر فقه اللغة ص390 .
[17] سورة الإسراء 78 .

زيادة (لام التخصيص) ، كقولك : الحمد لله ، فهذه (لام) مختصة في الحقيقة بالله[18] ، قال تعالى :(وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ)[19] .

زيادة (لام الأمر) ، قال تعالى :(ثُمَّ لْيَقْضُوا۟ تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا۟ نُذُورَهُمْ)[1] .

زيادة (لام الجزاء) ، قال تعالى :(إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ)[2] .

زيادة (لام العاقبة) ، قال تعالى :(فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا)[3].

زيادة (هاء الاستراحة) ، قال تعالى :(مَآ أَغْنَىٰ عَنِّى مَالِيَهْ ۝٢٨ هَلَكَ عَنِّى سُلْطَٰنِيَهْ)[4] .

زيادة (هاء الوقف) ، قال تعالى :(فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ)[5] .

زيادة (هاء الكثرة) ، قال تعالى :(وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ)[6] ، أي : لكل عيابة مغتابة[7] .

زيادة (واو القسم) ، قال تعالى :(وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ)[8] ، وقال :(وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ)[9] ، وقال :(وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا)[10] .

زيادة (واو الحال) ، قال تعالى :(تَوَلَّوا۟ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ)[11] .

زيادة (واو الصلة) ، قال تعالى :(إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ)[12] والمعنى : إلا لها .

زيادة (الواو التي بمعنى (إذ)) ، قال تعالى :(وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ)[13] يريد : إذ طائفة.

زيادة (واو الثمانية) ، قال تعالى :(سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًۢا بِٱلْغَيْبِ ۖ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ)[14] والواو المذكورة مع الرقم ثمانية يقال لها (واو الثمانية) وهي التي دلت على أن عدة أصحاب الكهف ثمانية على الأصح من الأقوال[15]،ولذلك قال تعالى عن جهنم :(حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا)[16] ، بلا (واو) لأن أبوابها سبعة ولما ذكر الجنة قال :(حَتَّىٰٓ إِذَا

---

[18] ينظر فقه اللغة ص391 ، والبرهان ج3 ص85 وما بعدها .
[19] سورة الانفطار 19 .
[1] سورة الحج 29 .
[2] سورة الفتح 1- 2 .
[3] سورة القصص 8 .
[4] سورة الحاقة 28- 29 .
[5] سورة الأنعام 90 .
[6] سورة الهمزة 1 .
[7] ينظر فقه اللغة ص393 ، وتفسير أبي السعود ج9 ص198 .
[8] سورة النجم 1 .
[9] سورة البروج 1 .
[10] سورة الشمس 1 .
[11] سورة التوبة 92 .
[12] سورة الحجر 4 .
[13] سورة آل عمران 154 .
[14] سورة الكهف 22 .
[15] ينظر فقه اللغة ص395 ، والتسهيل لعلوم التنزيل ج2 ص185 .
[16] سورة الزمر 73 .

جَآءُوهَا وَفُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَا)[17] ، فألحق بها (الواو) لأن أبوابها ثمانية و (واو) الثمانية مستعملة في كلام العرب[18] . هذا ما أستشهد له الإمام الثعالبي من الحروف بالقرآن الكريم .

المبحث الثالث

فنون البلاغة

المطلب الأول

مباحث البلاغة الرئيسة

أولاً : المجاز

قال الثعالبي يقول الجاحظ (للعرب إقدام على الكلام ، ثقة بفهم المخاطب من أصحابهم عنهم كما جوزوا قوله : أكله الأسْوَدُ ، وإنما يذهبون إلى النهش واللدغ والعَض ، وأكل المال ، وإنما يذهبون إلى الإفناء)[1] .

ويعرف الجرجاني المجاز في الكلمة بقوله : (كل كلمة أريد بها غير ما وضعت له في وضع واضعها ، لملاحظة بين الثاني والأول فهي مجاز)[2] ويجب أن نعلم أن القرآن الكريم قد أشتمل على الحقيقة والمجاز ، وهو قول جمهور علماء المسلمين ، ولم يخالف في ذلك إلا قلة من العلماء[3] .ويعلق الثعالبي على الأمثلة من القرآن الكريم كقوله تعالى :(إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلۡيَتَٰمَىٰ ظُلۡمًا إِنَّمَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ نَارٗاۖ وَسَيَصۡلَوۡنَ سَعِيرٗا)[4] ، ولعلهم شربوا بتلك الأموال الانبذة ، ولبسوا الحلل وركبوا الهماليج ، ولم ينفقوا منها درهماً في سبيل الله ، إنما أكل . وقوله تعالى :(ذُقۡ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡكَرِيمُ)[5] وقوله :(فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلۡجُوعِ وَٱلۡخَوۡفِ بِمَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ)[6] وقوله :(فَذَاقُواْ وَبَالَ أَمۡرِهِمۡ)[7] وقد جوز العرب ذلك بقولهم : ذقت ، لما ليس يُطْعَم . واستدل على ذلك بقوله تعالى :(فَمَن شَرِبَ مِنۡهُ فَلَيۡسَ مِنِّي وَمَن لَّمۡ يَطۡعَمۡهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّيٓ)[8] يريد : من لم يذق طعمه ، وقوله تعالى :(إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسۡتَحۡيِۦٓ أَن يَضۡرِبَ مَثَلٗا مَّا بَعُوضَةٗ فَمَا فَوۡقَهَاۚ)[9] يقول الجاحظ : ((يريد فما دونها ، وهو كقول القائل فلان أسفل الناس ، فتقول وفوق ذلك ، وقال الفراء (فما فوقها) في الصغر)[10]، وقوله تعالى :(فَمَن شَهِدَ

---

[17] سورة الزمر 73 .
[18] ينظر فقه اللغة ص395 ، وتفسير السمرقندي ج3 ص188 .
[1] ينظر فقه اللغة ص405 .
[2] أسرار البلاغة في علم البيان ص249 ، وأساليب البيان في القرآن ص382 .
[3] من أراد الاستزادة فعليه بالبرهان ج2ص255 وما بعدها ، والإتقان ج3 ص71 وما بعدها فإنهما قد ناقشا هذا الموضوع فأحسنا وأجادا .
[4] سورة النساء 10 .
[5] سورة الدخان 49 .
[6] سورة النحل 112 .
[7] سورة التغابن 5 .
[8] سورة البقرة 249 .
[9] سورة البقرة 26 .
[10] ينظر فقه اللغة ص406 ، وتنوير المقباس في تفسير ابن عباس ج1 ص6 .

مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ)[11] والشهر لا يغيب عن أحد ، ومجاز الآية : فمن كان منكم شاهد بلده في الشهر فليصمه[12] .

ثانياً : الاستعارة في القرآن

وهي من سنن العرب : وهي أن تستعير للشيء ما يليق به ، ويضعوا الكلمة مستعارة له من موضع آخر[1] . كقوله تعالى :(وَإِنَّهُۥ فِيٓ أُمِّ ٱلۡكِتَٰبِ)[2] يقول الزركشي : (فإنّ حقيقته أنّه في أصل الكتاب ، فاستعير لفظ (الأم) للأصل ، لأن الأولاد تنشأ من الأم كما تنشأ الفروع من الأصول . وحكمة ذلك تمثيل ما ليس بمرئي حتى يصير مرئياً ، فينقل السامع من حد السماع إلى حد العيان ، وذلك أبلغ في البيان)[3] ومثله قوله :(وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلۡقُرَىٰ وَمَنۡ حَوۡلَهَا)[4] ، وقوله تعالى :(وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ)[5] لأن المراد أمر الولد بالذل لوالديه رحمة بهم ، والتقدير : اخفض لهما جانب الذل[6] ، فكأنما استعير الجناح من الطائر ووضع للولد . وقوله تعالى :(وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ)[7] يقول الزركشي :(هذا من أحسن الاستعارة ، وحقيقته بدأ انتشاره ، و (تنفس) أبلغ فإن ظهور الأنوار في المشرق من أشعة الشمس قليلاً قليلاً بينه وبين إخراج النفس مشاركة شديدة [8] . وقوله تعالى : (فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلۡجُوعِ وَٱلۡخَوۡفِ)[9]، فالمستعار (اللباس) ، والمستعار له (الجوع) ، ومجرد الاستعارة ، بذكر لفظة الأداة المناسبة للمستعار له وهو الجوع ، لا المستعار وهو اللباس ، ولو أراد جعلها على الأصل لقال ، وكساها لباس الجوع ، وفي هذه الآية مراعاة المستعار له ، وهو الجوع والخوف ، فذكر (الإذاقة) لأن الجوع والخوف ألمهما يذاق ولا يلبس[10] . وقوله : (وَٱمۡرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلۡحَطَبِ)[11] إذا حملنا الحطب على النميمة فاعتبر اللفظ فقال (حمالة) ولم يقل (راوية) فيلاحظ المعنى[12] .

وقوله تعالى : (وَٱشۡتَعَلَ ٱلرَّأۡسُ شَيۡبٗا)[13] وهذا استعارة حسي لحسي بوجه حسي ، فان المستعار منه هو النار ، والمستعار له هو الشيب ، والوجه هو الانبساط ، فالطرفان حسيان والوجه حسي ، وهو استعارة بالكناية ، لأنه ذكر التشبيه والمشبّه والمشبه به مع لازم من لوازم المشبّه به وهو

---

[11] سورة البقرة 185 .
[12] ينظر فقه اللغة ص406 ، والبرهان ج2 ص263 ، والإتقان ج3 ص72 .
[1] ينظر فقه اللغة ص432 ، وأسرار البلاغة ص39 .
[2] سورة الزخرف 4 .
[3] البرهان ج3 ص433 .
[4] سورة الأنعام 92 .
[5] سورة الإسراء 24 .
[6] ينظر البرهان ج3 ص433 .
[7] سورة التكوير 18 .
[8] ينظر البرهان ج3 ص435 .
[9] سورة النحل 112 .
[10] ينظر البرهان ج3 ص 438 .
[11] سورة المسد 4 .
[12] المصدر نفسه .
[13] سورة مريم 4 .

الاشتعال[1] . وقوله تعالى : (وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيۡلُ نَسۡلَخُ مِنۡهُ ٱلنَّهَارَ)[2] ، المستعار له ظلمة النهار من ظلمة الليل ، والمستعار منه ظهور المسلوخ عن جلدته[3] . وقوله : (فَصَبَّ عَلَيۡهِمۡ رَبُّكَ سَوۡطَ عَذَابٍ)[4] ينبي عن الدوام والسوط ينبي عن الإيلام ، والمراد تعذيبهم عذاباً دائماً مؤلماً[5] .

وقوله : (وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلۡغَضَبُ)[6] ، المستعار السكوت ، والمستعار له الغضب ، والمستعار منه الساكت ، وهذه ألطف الاستعارات لأنها استعارة معقول لمعقول لمشاركته في أمر معقول[7] .

ثالثاً : الجناس في القرآن

وهو أن يجانس اللفظُ اللفظَ في الكلام والمعنى مختلف ، كقول الحق سبحانه : (وَأَسۡلَمۡتُ مَعَ سُلَيۡمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ)[8] ، وقوله تعالى : (يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ)[9] وقوله : (فَأَدۡلَىٰ دَلۡوَهُۥۖ)[10] ، وقوله : (فَأَقِمۡ وَجۡهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفٗاۚ)[11] ، وقوله : (يَخَافُونَ يَوۡمٗا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلۡقُلُوبُ وَٱلۡأَبۡصَٰرُ)[12] ، وقوله : (فَرَوۡحٞ وَرَيۡحَانٞ)[13] ، وقوله : (وَجَنَى ٱلۡجَنَّتَيۡنِ دَانٖ)[14] . يقول الزركشي وهذه الآيات وغيرها تدخل في باب ما يقرب من الاقتضاب ، وهو أن تكون الكلمات يجمعها أصل واحد في اللغة[15] . وهذا يُبيّن بعض ملامح منهج الإمام أبي منصور حيث يذكر عنوان الفصل ثم يستشهد له بالقرآن ثم بالسنة النبوية ثم بالشعر وكلام العرب .

رابعاً : الطباق .

وهو الجمع بين الضدين مع مراعاة التقابل ، كالبياض والسواد ، والليل والنهار[1] . قال تعالى : (فَلۡيَضۡحَكُواْ قَلِيلٗا وَلۡيَبۡكُواْ كَثِيرٗا)[2] فطابق بين الضحك والبكاء ، والقليل والكثير . وقوله تعالى : (تَحۡسَبُهُمۡ جَمِيعٗا وَقُلُوبُهُمۡ شَتَّىٰۚ)[3] وقوله تعالى : (وَتَحۡسَبُهُمۡ أَيۡقَاظٗا وَهُمۡ رُقُودٞۚ)[4] وقوله تعالى : (وَلَكُمۡ فِي ٱلۡقِصَاصِ حَيَوٰةٞ)[5]، لأن معنى القصاص القتل ، فصار القتل سبب الحياة . قال ابن المعتز في كتاب البديع ، وهذا من أملح الطباق وأخفاه[6] .

---

(1) ينظر البرهان ج 3 ص 441 . والإتقان ج 3 ص 94 . وأساليب البيان في القرآن ص 472 .
(2) سورة يس 37 .
(3) ينظر البرهان ج 3 ص 441 .
(4) سورة الفجر 13 .
(5) المصدر نفسه .
(6) سورة الأعراف 154 .
(7) ينظر البرهان ج 3 ص 442 .
(8) سورة النمل 44 .
(9) سورة يوسف 84 .
(10) سورة يوسف 19 .
(11) سورة الروم 30 .
(12) سورة النور 37 .
(13) سورة الواقعة 89 .
(14) سورة الرحمن 54 .
(15) ينظر البرهان ج 3 ص 451 .
(1) ينظر فقه اللغة ص 437 ، والبرهان ج3 ص 455 .
(2) سورة التوبة 82 .
(3) سورة الحشر 14 .
(4) سورة الكهف 18 .
(5) سورة البقرة 179 .

خامساً : الكناية

يذكر الإمام الثعالبي في هذا الباب قوله تعالى :(وَقَالُواْ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا)[7] ويفسر الجلود هنا أنها كناية عن الفروج متابعاً بذلك بعض المفسرين في هذا التفسير ، وهكذا ذكر الإمام الزركشي وقال كنى عن الفروج بالجلود على ما ذكره المفسرون[8] ، وكان الأولى لو قال الإمام الزركشي (على ما ذكره بعض المفسرين) وليس كلهم .

وقوله تعالى :(أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ)[9] فكنى عن الحدث ، وأصل كلمة الغائط هو المكان المنخفض من الأرض ، فالغائط كناية عن النجو والحدث وقضاء الحاجة ، وكانوا إذا أرادوا قضاء حاجتهم أبعدوا عن العيون إلى منخفض من الأرض ، فسمي منه لذلك ، ولكنه كثر استعماله في كلامهم ، فصار بمنزلة التصريح[10] . وقوله تعالى :(نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُواْ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ)[11] وهو كناية عن الجماع[12] وقوله تعالى :(فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا)[13] أيضاً كناية عن الجماع[14] ، والله كريم يكني . قال رسول الله (ص) لقائد الإبل التي عليها نساؤه :(رفقاً بالقوارير)[15] ، فكنى عن الحرم[16].

سادساً : الإلتفات .

يرى الإمام أبو منصور أنّ الالتفاتَ هو : أن تذكر الشيء ، وتُتِمَّ معنى الكلام به ، ثم تعود لذكره كأنك تلتفت إليه ، وذكر شاهداً على ذلك قوله تعالى : (لَا تَفْتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ ٱفْتَرَىٰ)[1] فنهى عن الافتراء ثم شرع بذكر عذاب الله سبحانه واخذ المفترين بعذاب ، ثم ألتفت ، وذكر الوعيد على ذلك[2] . وقال (وقد خاب من افترى) .

ولمزيد من الإيضاح نذكر كلام الإمام الزركشي صاحب هذه الصنعة إذْ عرّف الالتفات بأنه :(نقل الكلام من أسلوب إلى أسلوب آخر تطريةً وإستدراراً للسامع ، وتجديداً لنشاطه ، وصيانة لخاطره من الملال والضجر ، بدوام الأسلوب الواحد على سمعه)[3] ، ويذكر الإمام الزركشي مثالاً يوضح فيه ذلك بقوله تعالى :(فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴿٤﴾ أَمْرًا مِّنْ عِندِنَآ إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٥﴾ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ)[4] وهذا التفات وعدول من ضمير المتكلم إلى ضمير المخاطب ، فقوله :(من عندنا) و (إنا

---

(6) ينظر البرهان ج 3 ص 457 .
(7) سورة فصلت 21 .
(8) ينظر فقه اللغة ص438 ، والبرهان ج2 ص305 .
(9) سورة النساء 43 .
(10) ينظر البرهان ج2 ص304 ، والإتقان ج3 ص102 .
(11) سورة البقرة 223 .
(12) ينظر أساليب البيان في القرآن ص666 .
(13) سورة الأعراف 189 .
(14) ينظر المصادر السابقة .
(15) رواه البخاري برقم 4187 .
(16) ينظر فقه اللغة ص439 .
(1) سورة طه 61 .
(2) ينظر فقه اللغة ص 440 .
(3) البرهان ج3 ص314 .
(4) سورة الدخان 4- 6 .

كنا) ضمير المتكلم ، وفي الآية الأخيرة عدل والتفت من هذا الضمير إلى ضمير المخاطب فقال :(رحمة من ربك) ولم يقل (رحمة منا)[5] .

سابعاً : التوكيد والإشباع

يؤتى بالتوكيد في الكلام على قدر الحاجة ، وحسب المخاطب أو الموقف ، فقد يكون الكلام ليس فيه توكيد ، وقد يأتي فيه مؤكد واحد أو اثنين أو ثلاثة بحسب ردة فعل المخاطب بالكلام ، أو بحسب نوع الموقف فإذا كان الموقف يتحدث عن أمر عظيم متعلق بالتوحيد والعقيدة فإنه يؤكد ، وإلا فلا ، وهكذا[6] كقوله تعالى :(إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ)[7] .

قال الثعالبي : تقول العرب عشرة وعشرة ، فتلك عشرون كاملة ، ومنه قوله تعالى :(فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ فِى ٱلْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ ۗ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ)[8] . ومنه قوله تعالى :(وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ)[9] وإنما ذكر الجناحين لأن العرب قد تسمي الإسراع طيراناً ، فذكر (بجناحيه) للتأكيد على إن المراد بالطائر هنا حقيقته أي ما يطير في السماء بواسطة الجناحين لا غير ذلك[10] .

وأستدل الثعالبي على ذلك بقول النبي (ص) :(خير الناس رجل ممسك بعنان فرسه في سبيل الله ، كلما سمع هيعة طار إليها)[11].

وكذلك قوله تعالى :(يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ)[1] ، فذكر الألسنة ، لأن الناس يقولون : قال في نفسه ، وقلت في نفسي ، فأعلم إن ذلك القول باللسان دون كلام النفس ، وذكر اللسان هنا أكد على هذا المعنى[2] . بدليل قوله تعالى :(وَيَقُولُونَ فِىٓ أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُ)[3] .

ثامناً : التكرار والإعادة

يقول الثعالبي إنّ التكرار والإعادة من سنن العرب يأتون به لإظهار العناية بالأمر[4]. وذكر السيوطي أن هذا الباب أبلغ من التأكيد ، وأنّه من محاسن الفصاحة والبلاغة وذكر له فوائد عديدة مع أمثلة من القرآن الكريم[5] .

ومن الأمثلة على ذلك ما ذكره الثعالبي في قوله تعالى : (أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ)[6] ولهذا جاء في كتاب الله ، التكرير ، كتكرار قوله تعالى : (فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ)[7] قال السيوطي : (فإنها وان تكررت نيفاً

---

[5] ينظر البرهان ج3 ص316- 317 .
[6] ينظر منى أسرار البيان القرآني ص78 ، والتعبير القرآني ص115 .
[7] سورة الحجر 9.
[8] سورة البقرة 196 .
[9] سورة الأنعام 38 .
[10] ينظر فقه اللغة ص428 ، والبر هان ج2 ص425 ، والإتقان ج3 ص161 .
[11] رواه ابن الأثير ج5 ص588 ، والهيعة : صوت يدل على الخوف والفزع من عدو او غيره .
[1] سورة الفتح 11 .
[2] ينظر فقه اللغة ص429 ، والبر هان ج2 ص427 ، والإتقان ج3 ص161 .
[3] سورة المجادلة 8 .
[4] ينظر فقه اللغة ص421 .
[5] ينظر الإتقان ج 3 ص 153 .
[6] سورة القيامة 34 .
[7] تكررت هذه الآية في سورة الرحمن إحدى وثلاثين مرة ، بما يقارب نصف السورة تقريباً .

وثلاثين مرة ، فكل واحدة تتعلق بما قبلها ، ولذلك زادت على ثلاثة ، ولو كان الجميع عائداً إلى شيء واحد لما زاد على ثلاثة ، لان التأكيد لا يزيد عليها)[8] .

ومثله قوله تعالى : (وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ)[9] إذ تكرر هذا الجزء من الآية عشر مرات ، لأنه تعالى ذكر قصصاً مختلفة وأتْبعَ كل قصة بهذا القول ، فكأنه قال عقب كل قصة : ويل للمكذبين بهذه القصة[10]

المطلب الثاني
مباحث البلاغة الفرعية

أولاً : القلب .

كقوله تعالى : (مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُوْلِى ٱلْقُوَّةِ)[1] . وإنما العصبة أولو القوة تنوء بالمفاتيح[2] . ويرى الزركشي أن الباء للحال ، والعصبة مستصحبة المفاتح ، لا تستصحبها المفاتح ، وفائدة ذلك هو المبالغة في ثقل هذه المفاتيح التي تدل على كثرة الخزائن ، فكأن المفاتح مستتعبة للعصبة القوية بثقلها[3] .

ثانياً : اقتصارهم على بعض الشيء والمراد كلّه .

كقوله تعالى : (قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ)[4]، و (من) هذه للتبعيض . والمراد يغضوا أبصارهم كلها ، والجمهور على أن (من) هنا تبعيضية والمراد غضُّ البصر عما يحرم ، والاقتصار به على ما يحل وجعل الغض عن بعض المبصر غض بعض البصر وفيه كناية حسنة[5] وهذا من جميل التعبير القرآني ودقته ، حيث ذكر التبعيض مع النظر ولم يذكره مع حفظ الفروج لأنه لو لم يذكر التبعيض مع النظر وقال : (يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ) لأصبح الناس عميا،ولكنه يريد أن نغض بعض أبصارنا ، وهذا البعض هو ما حرم الله النظر إليه ، ولم يذكر ذلك مع حفظ الفروج ، لأنه يريد منا حفظ الفروج كلها وليس بعضها ، والله أعلم .

ومثله قوله تعالى :(وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَـٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ)[6] ، والمراد هو الله تعالى[7] .

---

[8] الإتقان ج 3 ص 155 .
[9] سورة المرسلات 15 .
[10] المصدر نفسه .
[1] سورة القصص 76 .
[2] ينظر فقه اللغة ص 419 .
[3] ينظر البرهان ج 3 ص 289 .
[4] سورة النور 30 .
[5] ينظر فقه اللغة ص425 ، وروح المعاني ج18 ص138 .
[6] سورة الرحمن 27 .
[7] ينظر روح المعاني ج27 ص108 .

ثالثاً : تسمية المتضادين بإسمٍ واحد .

وهو مشهور عند العرب مثل (قرء) تطلق على الطهر والحيض ، ومنه قوله تعالى :(وَنَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا)[8] والند يحمل معنى المثل والضد[9].

رابعاً : وقوع فعل واحد على عدّة معانٍ .

كالفعل (قضى) يأتي بمعنى (حتم) ، ومنه قوله تعالى :(فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ)[10] ويأتي بمعنى (أمر) في قوله تعالى :(وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ)[11] ويأتي بمعنى (صنع) ومنه قوله :(فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ)[1] ، ويأتي بمعنى (أعلم) ومنه قوله :(وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ)[2] ، ويأتي بمعنى

قضاء الحاجة كقوله تعالى :(إِلَّا حَاجَةً فِى نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَىٰهَا)[3] . ومثله الفعل (صلى) يأتي بمعنى الصلاة المعروفة كقوله تعالى :(فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ)[4] ، ويأتي بمعنى الدعاء كقوله تعالى :(وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ۗ)[5] أي : ادع لهم[6] . وقوله تعالى : (إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا)[7] فالصلاة من الله الرحمة ، ومن الملائكة الاستغفار ، ومن المؤمنين الثناء والدعاء[8] .

ويأتي بمعنى (الدين) كما قال تعالى في قصة شعيب : (أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ)[9] أي دينك[10] . ويأتي بمعنى (كنائس اليهود) ومنه قوله تعالى : (لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ)[11] .

فسر ابن عباس كلمة (وصلوات) هنا بأنها : بيوت نار المجوس[12] .

خامساً : وقوع اسم واحد على أشياء مختلفة (الأشباه والنظائر) .

مثل كلمة (العدل) وهو الفدية ، ومنه قوله : (وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ)[13] أي فدية[14] . ويأتي بمعنى (المثل) كقوله تعالى : (أَوْ عَدْلُ ذَٰلِكَ صِيَامًا)[15] .

---

[8] سورة فصلت 9 .
[9] ينظر فقه اللغة ص419 .
[10] سورة سبأ 14 / وينظر فتح القدير ج4 ص317 .
[11] سورة الإسراء 23 / وينظر المعنى في تفسير البيضاوي ج3 ص438 .
[1] سورة طه 72 . / وينظر المعنى في تفسير الواحدي ج2 ص700 .
[2] سورة الإسراء 4 / وينظر المعنى في التسهيل لعلوم التنزيل ج2 ص167 .
[3] سورة يوسف 68 .
[4] سورة الكوثر 2 .
[5] سورة التوبة 103 .
[6] ينظر فقه اللغة ص 416 . والكشاف ج 2 ص 293 .
[7] سورة الأحزاب 56 .
[8] ينظر فقه اللغة ص 416 . وتفسير البغوي ج 3 ص 541 .
[9] سورة هود 87 .
[10] فقه اللغة ص 416 . وتفسير السمعاني ج 2 ص 451 .
[11] سورة الحج 40 .
[12] ينظر تنوير المقباس ج 1 ص 281 .
[13] سورة البقرة 48 .
[14] ينظر فقه اللغة ص 418 . والدرر المنثور ج 1 ص 166 .
[15] سورة المائدة 95 / وينظر المعنى في تفسير الواحدي ج 1 ص 336 .

سادساً : وقوع حروف المعنى مواقع بعض .

كوقوع (أم) موضع (بل) كما قال تعالى : (أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ)[16] أي (بل) يقولون: شاعر[17] .

وتقع موضع (الاستفهام) كقوله : (أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْـَٔلُوا رَسُولَكُمْ)[18] ، أي أتريدون ان تسألوا رسولكم .

وقوع (أو) بمعنى واو العطف ، ومنه قوله :(وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا)[1] ، وتأتي بمعنى (بل) ومنه قوله :(وَأَرْسَلْنَـٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ)[2] أي : بل يزيدون .

وقوع (أن) بمعنى (لعل) كقوله تعالى :(وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ)[3] أي : لعلها إذا جاءت .

وقوع (إنْ) المخففة بمعنى (إذ) كقوله :(وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ)[4] أي : إذ كنتم مؤمنين .

وتأتي بمعنى (لقد) كقوله :(إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَـٰفِلِينَ)[5] أي : لقد كنا .

وقوع (إلى) بمعنى (مع) كقوله :(مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ)[6] أي : مع الله . ومثله قوله تعالى :(وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْ)[7] أي : مع أموالكم ، ومثله :(فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ)[8] أي : مع المرافق .

وقوع (إلا) بمعنى (بل) كقوله :(طه ﴿١﴾ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ﴿٢﴾ إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ)[9] أي : بل تذكرة . وتأتي بمعنى (لكن) كقوله :(لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾ إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ)[10] أي : لكن من تولى وكفر .

وقوع (إذ) موقع (إذا) كقوله :(وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُواْ فَلَا فَوْتَ)[11] أي : إذا فزعوا ، ومثل قوله : (إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَـٰعِيسَىٰٓ)[12] أي : إذا قال الله .

---

[16] سورة الطور 30 .
[17] ينظر فقه اللغة ص 395 . ومعاني الحروف ص 46 . والبرهان ج 4 ص 182 .
[18] سورة البقرة 108 .
[1] سورة الإنسان 24 .
[2] سورة الصافات 147 .
[3] سورة الأنعام 109 .
[4] سورة آل عمران 139 .
[5] سورة يونس 29 .
[6] سورة آل عمران 52 .
[7] سورة النساء 2 .
[8] سورة المائدة 6 .
[9] سورة طه 1- 3 .
[10] سورة الغاشية 22- 23 .
[11] سورة سبأ 51 .
[12] سورة آل عمران 55 .

وقوع (أنى) موقع (كيف) كقوله :(قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا)[13] أي : كيف يحيي ، ومثله قوله تعالى :(قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ)[14] أي : كيف يكون لي ولد .

وقوع (أيان) موقع (متى) كقوله :(وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ)[15] أي : متى .

وقوع (بل) بمعنى (إن) كقوله تعالى :(صٓ ۚ وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ ﴿١﴾ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ)[1] أي : إن الذين كفروا في شقاق .

وقوع (بعد) بمعنى (مع) كقوله :(عُتُلٍّۭ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ)[2] أي : مع ذلك .

وقوع (ثم) بمعنى (واو العطف) كقوله :(فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ ٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ)[3] أي : والله شهيد .

وقوع (كأين) بمعنى (كم) كقوله : (وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِۦ)[4] . وقوع (لو) بمعنى (إن) الخفيفة . كقوله : (لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ)[5] أي : وان كره المشركون ، ولولا أنها بمعنى (إن) لاقتضت جواباً[6] .

قال أبو السعود في هذه الآية : (وجواب لو محذوف لدلالة ما قبله عليه والجملة معطوفة على جملة قبلها ، وكلتاهما في موقع الحال ، أي : لا يريد الله إلا إتمام نوره ولو لم يكره الكافرون ذلك ، ولو كره أي : على كل حال مفروض ، وقد حذفت الأولى في الباب حذفاً مطرداً لدلالة الثانية عليها دلالة واضحة لأن الشيء إذا تحقق عند المانع ، فلأن يتحقق عند عدمه أولى وعلى هذا يدور ما في (إن) و(لو) الوصليتين من التأكيد)[7] ، وهذا القول هو الأصح ، وإن كان ما ذهب إليه أبو منصور يصح أيضاً . واستدل على ذلك بقوله تعالى :(وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَٰبًا فِى قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ)[8]والله أعلم .

وقوع (لولا) بمعنى (هلا) كقوله :(فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا۟)[9] أي : فهلا . ومثله قوله تعالى :(لَّوْ مَا تَأْتِينَا بِٱلْمَلَٰٓئِكَةِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ)[10] أي : فهلا تأتينا .

وقوع (لما) بمعنى (لم) كقوله :(بَل لَّمَّا يَذُوقُوا۟ عَذَابِ)[11] أي : لم يذوقوا . ومثله قوله :(كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَآ أَمَرَهُۥ)[12] أي : لن يقض . ومعلوم أن الفرق بين (لم) و (لما) إنهما تنفيان الفعل المضارع

---

[13] سورة البقرة 259 .
[14] سورة آل عمران 47 .
[15] سورة النحل 21 .
[1] سورة ص 1- 2
[2] سورة القلم 13 .
[3] سورة يونس 46 .
[4] سورة الطلاق 8 .
[5] سورة التوبة 33 .
[6] ينظر فقه اللغة ص 399 .
[7] تفسير أبي السعود ج 4 ص 61 .
[8] سورة الأنعام 7 .
[9] سورة الأنعام 43 .
[10] سورة الحجر 7 .

وتجزمانه وتقلبانه ، إلا أنّ النفي بـ (لم) يفيد عدم وقوع الفعل ، والنفي بـ (لمّا) يفيد عدم وقوع الفعل مع إمكان تحققه في المستقبل[13] .

وقوع (لا) بمعنى (لم) كقوله :(فَلَاصَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ)[1] أي : لم يصدق ولم يصل .

وقوع (لدن) بمعنى (عند) كقوله تعالى :(قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا)[2] أي : من عندي .

ومثله قوله :(وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلْبَابِ)[3] أي : عند الباب .

وقوع (لعل) بمعنى (كي) كقوله : (وَأَنْهَٰرًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ)[4] أي : كي تهتدوا .

وقوع (ما) بمعنى (من) كقوله : (وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ)[5] أي : ومن خلق . ومثله قوله : (وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا) و (وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا)[6] أي : ومن بناها ومن سواها .

وقوع (في) بمعنى (على) كقوله : (وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ)[7] لأن الجذع للمصلوب بمنزلة القبر للمقبور ، وهذا الكلام غاية في الجمال .

وقوع (من) بمعنى (على) كقوله:(وَنَصَرْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ)[8] أي : على القوم .

وقوع (حتى) بمعنى (إلى) كقوله : (سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ)[9] . أي : إلى مطلع الفجر[10] .

ومن أراد الاستزادة فليرجع إلى كتاب فقه اللغة من ص 395 . 402 . والبرهان ج 4 ص 180 وما بعدها . ومعاني الحروف للرماني ص 47 وما بعدها .

وما ذكرناه هنا من وقوع بعض حروف المعاني مكان بعض جائز في لغة العرب ، ولكن يبقى للقرآن سمته وميزته واستعماله ، فإن القرآن الكريم لم يضع حرفاً أو كلمة أو لفظاً إلا في المكان المناسب له ، حتى إنك إذا أردت استبدال حرف في أيه بحرف آخر ، لم يصل إليك المعنى الجميل الذي تحقق مع الحرف الذي استخدمه الله عز وجل في القرآن الكريم والله أعلم .

سابعاً : زيادة الحروف والصلات .

---

[11] سورة ص 8 .
[12] سورة عبس 23 .
[13] ينظر للاستزادة البرهان ج4 ص 380 وما بعدها . وينظر قطر الندى ص235 .
[1] سورة القيامة 31 .
[2] سورة الكهف 76 .
[3] سورة يوسف 25 .
[4] سورة النحل 15 .
[5] سورة الليل 3 .
[6] سورة الشمس الآية 5 . والآية 7 .
[7] سورة طه 71 .
[8] سورة الأنبياء 77 .
[9] سورة القدر الآية الأخيرة .
[10] ينظر فقه اللغة ص 402 . والقرطبي ج 20 ص 134 .

لا يعني هنا الإمام الثعالبي الزيادة التي لا فائدة منها ، بل يعني الحروف الزائدة التي تؤدي معنى معيناً مراداً لذاته ، فكما هو معروف عند علماء التفسير وعلوم القرآن وأهل اللغة أن الزيادة في المبني تعني الزيادة في المعنى .

وذكر الثعالبي أمثلة كثيرة على ذلك نذكر منها ما استشهد عليه بالقرآن الكريم كزيادة (الباء) في قوله تعالى : ﴿لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِيٓ﴾[11] ، ومثله قوله : ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ﴾[12] قال : فالباء زائدة والتقدير : ألم يعلم أن الله يرى[1] . واستدل على ذلك بقوله تعالى : ﴿وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ﴾[2] .

وزيادة (التاء) في قوله : ﴿وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ﴾[3] أي : لا حين .

وزيادة (لا) في قوله : ﴿لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾[4] أي : أقسم ، و (لا) هنا صلة[5] . ومثله قوله : ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾[6] أي : والضالين[7] . ومثله قوله : ﴿مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ﴾[8] .

وزيادة (ما) في قوله : ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ﴾[9] أي : فبرحمة من الله . ومثله قوله : ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ﴾[10] أي : فبنقضهم ميثاقهم . ومثله قوله : ﴿وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾[11] .

وزيادة (ما) في (رب) كقوله : ﴿رُّبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ﴾[12] .

وزيادة (من) في قوله : ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا﴾[13] أي : وما تسقط ورقة ، ومثله قوله : ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ﴾[14] أي : وكم ملك ، ومثله قوله :﴿وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا﴾[15]

ومثله قوله : ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ﴾[16] .

وقد مر الكلام على هذه الآية سابقاً[17] .

وزيادة (اللام) في قوله : ﴿لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾[18] أي : ربهم يرهبون . ومثله قوله : ﴿إِن كُنتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ﴾ . أي : ان كنتم الرؤيا تعبرون .

---

[11] سورة طه 94 .
[12] سورة العلق 14 .
[1] ينظر فقه اللغة ص 381 .
[2] سورة النور 25 .
[3] سورة ص 3 .
[4] سورة القيامة 1 .
[5] ينظر تفسير القرطبي ج 19 ص 91 .
[6] سورة الفاتحة الآية الأخيرة .
[7] ينظر الكشاف ج 1 ص 59 .
[8] سورة الأعراف 12 .
[9] سورة آل عمران 159 .
[10] سورة النساء 155 . / وينظر تفسير الواحدي ج لا1 ص 200 .
[11] سورة ص 24 .
[12] سورة الحجر 2 .
[13] سورة الأنعام 59 .
[14] سورة النجم 26 .
[15] سورة الأعراف 4 .
[16] سورة النور 30 .
[17] ينظر صفحة 42
[18] سورة الأعراف 154 .

وزيادة (كان) في قوله : (قَالَ وَمَا عِلْمِى بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ)[1] أي : بما يعلمون[2] .

وزيادة (الاسم) في قوله : (بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْرٖىٰهَا)[3] والمراد : بالله مجراها .

وزيادة (الوجه) في قوله : (وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ)[4] ، أي : ويبقى ربك[5] .

وزيادة (مثل) في قوله : (وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ)[6] . أي : عليه .

وزيادة (باء) السبب في قوله : (وَكَانُوا۟ بِشُرَكَآئِهِمْ كَٰفِرِينَ)[7] أي : من أجل شركائهم .

ومثله قوله : (وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ)[8] أي : من أجله .

وزيادة (الباء) الواقعة موقع (من) و (عن) في قوله : (سَأَلَ سَآئِلٌۢ بِعَذَابٖ وَاقِعٖ)[9] أي : عن عذاب واقع . وقوله تعالى : (عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ)[10] أي : يشرب منها .

وزيادة (الباء) التي بمعنى (حيث) في قوله : (فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٖ مِّنَ ٱلْعَذَابِ ۖ)[11] أي : حيث يفوزون .

وزيادة (التاء) مع القسم بالله ، في قوله : (وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم)[12] أي : والله .

وزيادة (الفاء) الواقعة في جواب الشرط . كقوله : (وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَتَعْسًا لَّهُمْ)[13] أي : تعساً لهم .

وزيادة (الكاف) في قوله : (لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ)[14] أي : ليس مثله شيء[15] .

وزيادة (لام الابتداء) في قوله : (لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِى صُدُورِهِم مِّنَ ٱللَّهِ ۚ)[16] أي : أنتم .

وزيادة (لام) السبب في قوله : (إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ)[17] أي : من أجله . ومثله قوله : (وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ)[18] أي : من أجلي .

ولام (عند) في قوله : (أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ)[1] أي : عند دلوكها .

---

[1] سورة الشعراء 112 .
[2] ينظر فقه اللغة ص 383 . وفتح القدير ج 4 ص 109 .
[3] سورة هود 41 .
[4] سورة الرحمن 27 .
[5] ينظر فقه اللغة ص 384 . والبيضاوي ج 5 ص 276 .
[6] سورة الأحقاف 10 .
[7] سورة الروم 13 .
[8] سورة المؤمنون 59 .
[9] سورة المعارج 1 .
[10] سورة الإنسان 6 .
[11] سورة آل عمران 188 .
[12] سورة الأنبياء 57 .
[13] سورة محمد 8 .
[14] سورة الشورى 11 .
[15] ينظر فقه اللغة ص 389 . والبيضاوي ج 5 ص 123 .
[16] سورة الحشر 13 .
[17] سورة الإنسان 9 .
[18] سورة طه 14 .

وزيادة (هاء) الاستراحة في قوله : ﴿مَآ أَغۡنَىٰ عَنِّي مَالِيَهۡۜ ٢٨ هَلَكَ عَنِّي سُلۡطَٰنِيَهۡ﴾[2] أي ما لي وسلطاني [3].

و (هاء) الوقف في قوله : ﴿فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ﴾[4] أي : اقتد .

و (هاء) الكثرة في قوله : ﴿وَيۡلٞ لِّكُلِّ هُمَزَةٖ لُّمَزَةٍ﴾[5] أي : لكل ذا همز ولمز . فإذا أريد المبالغة في كثرة الهمز واللمز أنث بزيادة (الهاء) . كما تقول : عالم وفاهم ونساب ، فإذا أردت الكثرة والمبالغة أنثته فقلت : علامة وفهامة ونسابة .

وهذا معروف في لغة العرب .

وزيادة (واو) الحال في قوله : ﴿تَوَلَّواْ وَّأَعۡيُنُهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُواْ مَا يُنفِقُونَ﴾[6]أي : تولوا أعينهم تفيض من الدمع .

زيادة (واو) الصلة في قوله : ﴿إِلَّا وَلَهَا كِتَابٞ مَّعۡلُومٞ﴾[7] أي : إلا لها كتاب .

زيادة (واو) بمعنى (إذ) في قوله : ﴿وَطَآئِفَةٞ قَدۡ أَهَمَّتۡهُمۡ أَنفُسُهُمۡ﴾[8] أي : إذ طائفة[9].

زيادة (واو الثمانية) التي تزاد مع العد الى ثمانية فقط كما في قوله تعالى : ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٞ رَّابِعُهُمۡ كَلۡبُهُمۡ وَيَقُولُونَ خَمۡسَةٞ سَادِسُهُمۡ كَلۡبُهُمۡ رَجۡمَۢا بِٱلۡغَيۡبِۖ وَيَقُولُونَ سَبۡعَةٞ وَثَامِنُهُمۡ كَلۡبُهُمۡۚ﴾[10] أي سبعة ثامنهم كلبهم . وذكر سبحانه هذه الواو مع الجنة في قوله : ﴿إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا﴾[11] ولم يذكرها مع جهنم في قوله : ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا﴾[12]. فلم يذكرها لأن جهنم لها سبعة أبواب ، وأما الجنة فلها ثمانية أبواب فذكر (واو) الثمانية معها ، وهذا مستعمل في كلام العرب[13] .

ثامناً : تخصيص بعض المفردات لأداء معنى معين .

وهذا مثل كلمة (التتابع والتهافت) لا يكونان إلا في الشر[1] . ومنه قوله تعالى : ﴿فَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَحَادِيثَ﴾[2] أي : مثلنا بهم . ولا يقال : جعلوا أحاديث ، إلا في الشر[3] .

تاسعاً : للعرب (فعل) لا يقوله غيرهم .

---

[1] سورة الإسراء 78 .
[2] سورة الحاقة 28 - 29 .
[3] ينظر تفسير أبي السعود ج 9 ص 26 .
[4] سورة الأنعام 90 .
[5] سورة الهمزة 1 .
[6] سورة التوبة 92 .
[7] سورة الحجر 4 .
[8] سورة العمران 154 .
[9] ينظر فقع اللغة ص 395 .
[10] سورة الكهف 22 .
[11] سورة الزمر 73 .
[12] سورة الزمر 71 .
[13] ينظر فقه اللغة ص 395 . وينظر تفسير القرطبي ج 10 ص 383 .
[1] ينظر فقه اللغة ص 423 .
[2] سورة سبأ 19 .
[3] المصدر نفسه .

كما تقول : عاد فلان شيخاً . وهو لم يكن قط شيخاً[4] . وهكذا . ومنه قوله تعالى : (يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ)[5] وهم لم يكونوا في نور من قبل ، ومثله قوله تعالى : (وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ)[6] وهم لم يبلغوا أرذل العمر فيردوا إليه[7] .

وهذا من سعة التعبير في اللغة العربية وهي ميزة خصها الله عز وجل في لغة العرب ، ولغة القرآن الكريم .

الخاتمة

يمكننا أن نورد هنا بعض النقاط الأساسية التي تبينت من خلال البحث :

1. إن الإمام الثعالبي عالم بعلوم القران الكريم والتفسير إلا أنه لم يصنف كتاباً في التفسير أو علوم القران الكريم لأنه ليس من أهل هذه الصنعة ، ولم يعرف عنه ذلك بل عرف عنه أنه من أهل اللغة .
2. قدم الإمام الثعالبي من خلال كتابه (فقه اللغة وأسرار العربية) خدمة للغة العربية من خلال المفردات التي ذكرها وبين معانيها ، وقدم خدمة للقران الكريم من خلال ما ذكره من الآيات القرآنية وبين معانيها في لغة العرب ، وقدم خدمة لعلوم القرآن الكريم من خلال معالجته لكثير من موضوعات علوم القرآن الكريم ، والدقائق واللطائف والالتفاتات التي ذكرها .
3. لم يخالف الإمام الثعالبي ما قرره المفسرون في تفسير الآيات التي فسرها ، ولكن يغلب على تفسيره التفسير اللغوي ، فقد اقتصر على تفسير الآيات تفسيراً لغوياً ، وهذه هي صنعته .
4. لم يخالف علماء علوم القرآن في أغلب العناوين التي وضعها للموضوعات التي عالجها ، ولا في المضمون لهذه الموضوعات .
5. اعتناء الإمام الثعالبي بالقرآن الكريم وتقديمه على غيره من خلال الكم الهائل من الآيات القرآنية التي ذكرها وأستشهد بها ، أو من خلال المفردات الكثيرة التي استخدمها ، والتي قد ذكرها الله عز وجل في القرآن الكريم .

---

[4] ينظر فقه اللغة ص 427 .
[5] سورة البقرة 257 .
[6] سورة النحل 70 .
[7] ينظر فقه اللغة ص 428 .

المصادر

القرآن الكريم

1. أبجد العلوم الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم ، صديق بن حسن القنوجي ، دار الكتب العلمية – بيروت 1978 . تحقيق عبد الجبار زكار .
2. إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر ، شهاب الدين أحمد بن محمد الدمياطي ، دار الكتب العلمية – بيروت 1998 . ط1 . تحقيق أنس مهره
3. إرشاد العقل السليم الى مزايا القرآن الكريم ، أبو السعود محمد بن محمد العمادي ، دار النشر : دار إحياء التراث العربي – بيروت .
4. أساليب البيان في القرآن ، للسيد جعفر السيد باقر الحسيني ، مؤسسة بوستان – قم . ط1 سنة 2009 .
5. أسرار البلاغة في علم البيان ، للإمام عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني ت 471 هـ ، دار الكتب العلمية – بيروت . ط1 . سنة 2001 م . تحقيق د. عبد الحميد هنداوي .
6. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ، محمد الأمين بن المختار الجكني الشنقيطي ، دار الفكر – بيروت سنة 1995 . تحقيق مكتب البحوث والدراسات .
7. الإتقان في علوم القرآن ، للإمام أبي الفضل عبد الرحمن الحافظ جلال الدين السيوطي ت 911هـ ، المكتبة التوفيقية – القاهرة . تحقيق طه عبد الرءوف سعد .
8. إكتفاء القنوع بما هو مطبوع ، أدورد فنديك ، دار صادر – بيروت 1896م .
9. بحر العلوم (تفسير السمرقندي) لأبي الليث نصر بن محمد السمرقندي ت375هـ ، دار الفكر – بيروت تحقيق د. محمود مطرجي .
10. البداية والنهاية ، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي ، مكتبة المعارف – بيروت
11. البرهان في علوم القرآن ، للإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي ت794هـ ، مكتبة عيسى البابي الحلبي . ط2 سنة 1972 . تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم .
12. بلاغة الكلمة في التعبير القرآني ، د. فاضل صالح السامرائي ، دار عمار – عمان . ط1 . سنة 1999 .
13. التسهيل لعلوم التنزيل ، محمد بن أحمد الغرناطي الكلبي . دار الكتاب العربي – لبنان ط4 سنة 1983 م .
14. التعبير القرآني ، د. فاضل السامرائي . مطبعة جامعة بغداد 1986 م .
15. تفسير البغوي ، للإمام البغوي ، دار المعرفة – بيروت . تحقيق خالد عبد الرحمن العك .
16. تفسير البيضاوي (أنوار التنزيل وأسرار التأويل) لأبي الخير عبد الله بن عمر الشيرازي الشافعي البيضاوي ت691 هـ . دار الفكر – بيروت .
17. تفسير الجلالين ، لجلال الدين المحلي وجلال الدين السيوطي ، دار الحديث – القاهرة ، ط1.

18. تفسير السمعاني ، لأبي منصور بن محمد السمعاني ، دار الوطن – الرياض ط1 سنة 1997 تحقيق ياسر بن إبراهيم – غنيم بن عباس بن غنيم .
19. تفسير الصنعاني ، لعبد الرزاق بن همام الصنعاني ، مكتبة الرشد – الرياض 1410 هـ ، ط1 . تحقيق د. مصطفى مسلم محمد .
20. تفسير القرآن العظيم ، لأبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي ت774هـ . دار الفكر – بيروت 1401 هـ .
21. تنوير المقباس من تفسير ابن عباس ، للفيروز أبادي ، دار الكتب العلمية – بيروت .
22. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، للشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي ، جمعية إحياء التراث الإسلامي – الكويت 2003 هـ .
23. الجامع لأحكام القرآن ، لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ت671 هـ ، دار الشعب – القاهرة .
24. جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، للإمام محمد بن جرير الطبري ت310هـ ، دار الفكر – بيروت 1405هـ .
25. الحيوان ، لأبي عثمان عمر بن بحر الجاحظ ت255 هـ دار الجيل – بيروت 1996 . تحقيق عبد السلام محمد هارون .
26. الدر المنثور في التفسير بالمأثور ، لأبي عبد الرحمن جلال الدين السيوطي ت911هـ دار الفكر – بيروت 1993 م .
27. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، لشهاب الدين السيد محمود الآلوسي البغدادي ، دار إحياء التراث العربي – بيروت .
28. صحيح البخاري ، محمد بن إسماعيل البخاري ت256هـ ، دار أبن كثير – بيروت 1987م ، ط3 . تحقيق د. مصطفى ديب البغا .
29. العبر في خبر من غبر ، لشمس الدين محمد بن أحمد الذهبي ، مطبعة الكويت 1984م ، ط2 . تحقيق د. صلاح الدين المنجد .
30. فتح القدير الجامع فني الرواية والدراية من علم التفسير ، لمحمد بن علي الشوكاني ، دار الفكر – بيروت .
31. فقه اللغة وأسرار العربية ، للإمام أبي منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي ت429هـ ، شركة أبناء شريف الأنصاري . بيروت ، 2008 م تعليق د. ياسين الأيوبي .
32. قطر الندى وبل الصدى ، لجمال الدين بن هشام الأنصاري ، ط11 ، القاهرة 1383هـ . تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد .
33. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري ت538 هـ ، دار إحياء التراث العربي – بيروت ، تحقيق عبد الرزاق المهدي .

34. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي ت541هـ . دار الكتب العلمية – بيروت ط1 ، 1993 م . تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد .
35. مفاتيح الغيب (التفسير الكبير) ، الإمام فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي ت606هـ ، دار الكتب العلمية – بيروت ، ط1 ، 2000م .
36. معاني الأبنية في العربية ، د. فاضل صالح السامرائي ، طبعة جامعة الكويت ، ط1 ، 1981م .
37. معاني الحروف ، للإمام أبي الحسن علي بن عيسى الرماني ، المكتبة العصرية – بيروت ، تحقيق الشيخ عرفان العشا حسونة الدمشقي ، 2008م .
38. من أسرار البيان القرآني ، د. فاضل صالح السامرائي ، دار الفكر – بيروت ، ط1 ، 2009م .
39. النهاية في غريب الحديث والأثر ، لأبي السعادات المبارك بن محمد الجزري ، المكتبة العلمية – بيروت ، 1979م . تحقيق طاهر أحمد الراوي ومحمود محمد الطناجي .
40. الوافي بالوفيات ، صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي ، دار إحياء التراث – بيروت ، 2000م . تحقيق أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى .
41. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان ، دار الثقافة – بيروت . تحقيق إحسان عباس .